الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف -ميلة-
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:...../2021

دلالات الصراع في رواية –حطب سراييفو- لسعيد خطيبي

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:
- قصري ابتسام
- قسمية خولة

إشراف الدكتورة:
سعاد حميدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة

لقد حققت السّاحة الفكرية والأدبية في الجزائر غزارة في الرّواية. والمتتبع لهذا التراكم يُدرك الحضور المتميز والإقبال الشديد على هذا النوع الأدبي، فالرّواية كجنس أدبي هي الوسيلة الأنسب للتعبير عن حياتنا، فقد رافقت الواقع الجزائري من الثورة التحريرية إلى النّظام الاشتراكي في فترة السبعينيات والثمانينيات، وسايرت مختلف الصراعات السّائدة آنذاك التي تحوّلت إلى حرب دموية في التسعينيات، أدْمت أفئدة الشعب الجزائري.

رواية الأزمة تُؤرخ لفترة حرجة من تاريخ الجزائر، التي ارتبطت بفترة زمنية التسعينيات، واتخذت من المأساة الجزائرية مداراً لها، كما اتّصفت بسنين الدّم والنّار لما حملتهُ من مآسي ومعاناة وعُنف دموي انعكس سلباً على الواقع المعيش في تلك الفترة. وكان من الطبيعي أن تشهد الكتابة الروائية ثراءً في التجربة ونضجاً في الرُؤى لدى الرّوائي، لما شهدهُ من صراعات عصفت بالمجتمع وأثّرت بعمق في سيرورته، حتى أصبحنا أمام "رواية الأزمة"، هذه الظّاهرة الرّوائية الجليلة التي تستحق منّا مزيداً من التأمل والدّراسة.

سعيد خطيبي روائي جزائري صاعد، بنى روايتهُ حطب سراييفو على خطين متوازيين أولهما الجزائر أيام الفوضى والصراعات الداخلية، والثاني من سراييفو التي عاشت أشرس الحروب بعد تفكك يوغسلافيا، ليلتقي الخطان في ليوبليانا، الخارجة للتّو بدورها من حربها القصيرة. فهي رواية النّاجين من الحرب والصراعات الداخلية بمختلف أنواعها، فهذه الأخيرة فتحت مجالاً واسعاً من الدلالات، كشفت الصلة التي تربط بين واقعي الجزائر والبوسنة.

يقودنا هذا الموضوع إلى طرح الإشكالية التالية: كيف تجلّى الصراع في رواية حطب سراييفو؟ وما هي دلالاته؟، وذلك من خلال القضايا التي تطرحها الرّواية ساعية لكشف الواقع المعيش آنذاك، وشخصيات راغبة في تغيير واقعها، مُجسّدة آلام الحروب والاغتراب، باحثة عن كيانها في هذا العالم.

سبب خوضنا في غمار هذا البحث أنّ هذه الرواية من الروايات الصّاعدة المتألقة الغير مدروسة، التي سارت بين ألغام العشرية السوداء، مُتقاطعة مع آثار الحرب الأهلية في البوسنة، فبين الحربين رباط الألم والدّم، وهو طرح أيقظ هوس البحث والتنقيب فينا، لكشف آثار الحروب وانعكاساتها على الشخصيات والأحداث، و يحصل لنا الشرف أن نكون أول من يدرس هذه الرواية من هذا الجانب، فلم تسبقنا إليه دراسات سابقة على حد علمنا.

نهدف من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء على فترة مظلمة من تاريخ الجزائر وكذا البوسنة، المليئة بالصراعات والنزاعات بين أفراد المجتمع، وبين السلطة والشعب المغلوب عن أمره...، بالإضافة إلى سعينا بالظفر بأسبقية دراسة رواية حطب سراييفو لسعيد خطيبي من هذا الجانب.

وهكذا فقد قسمنا هذه الدراسة لفصلين بدءاً بمقدّمة، وتذييلاً بخاتمة، ثم كشافاً للمصادر والمراجع، وفهرساً للموضوعات، وقد جاء كل فصل مقسّماً إلى مباحث ومطالب حسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع، وما يتطلّبهُ الأمر من تقديم أو تأخير. فالفصل الأول الذي حمِل عنوان (مفاهيم نظرية)، فقد خُصّص للجانب النظري من هذه الدّراسة، مقسّماً بدوره إلى ثلاثة عناوين رئيسة هي: مفهوم الدلالة، ماهية الصراع ومفهوم الرواية. أما الفصل الثاني الذي جاء موسوماً بـ: (دلالات الصراع في رواية حطب سراييفو لسعيد خطيبي)، فقد عُني بالدراسة التّطبيقية للرواية بدءاً بنبذة عن الرّاوي سعيد خطيبي، ثم ملخّص للرّواية، وصولاً إلى دلالات الصراع في الرواية المدروسة، وأخيراً أنهينا بحثنا بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المتوصّل إليها.

اعتمدنا في بحثنا على المنهج الاجتماعي، الذي حلّلنا من خلاله السياقات الاجتماعية، كما استعنّا ببعض آليات المنهج التاريخي في استحضارنا لأحداث تاريخية، في كلّ من الجزائر والبوسنة، مازجين بعضاً من آليات المنهج النفسي؛ الذي عمد إلى تحليل سلوكيات الشخصيات وصراعاتها الداخلية مع نفسها.

أما عن المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث، فأهمها: منقور عبد الجليل: علم الدلالة (أصوله ومباحثه في التراث العربي)، فرج عبدالقادر طه: معجم علم النفس والتحليل النفسي، أديب خالد: المرجع في الصحة النفسية، سامية ربيعي: في مفهوم النزاعات الدينية، إبراهيم خطيب: ها نحن أمام صراع ديني، عبدالله العروي: مفهوم الأديولوجيا، أندرو هيود: مدخل إلى الأديولوجيات السياسية، جورج لوكاتش: نظرية الرواية وتطورها، عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية.

جاء في الحديث الشريف {مَنْ لَمْ يَشْكُر النّاس لَمْ يَشكُر الله}، لذلك يشرفنا تقديم خالص الشكر والاحترام لأستاذتنا الفاضلة الدكتورة سعاد حميدة، التي أشرفت على هذا البحث وتعهدته قراءة وتوجيهاً ومساعدة ونصحاً حتى استوى على ما هو عليه.

الحمدلله أولاً وأخيراً.

الفصل الأول:

مفاهيم نظرية

1. مفهوم الدلالة.
2. ماهية الصراع.
   2.1. المفهوم اللغوي.
   2.2. المفهوم الاصطلاحي
   2.3. أنواع الصراع.
3. مفهوم الرواية.

1. مفهوم الدلالة:

تشير الدراسات اللغوية إلى أن الدراسة الدلالية قديمة قِدم الوعي الإنساني، و يُرجع الباحثون جذورها إلى علماء اليونان والهنود إذ كان لهم اهتمامات خاصة بالبحث الدلالي، قد اهتم أيضاً اللغويون العرب والمفسرون وعلماء الأصول بدراسة المعنى، ووضعوا قواعد وأصولا لاستنباطه.

وقد بدأ البحث في دلالة الألفاظ مبكرا عند العرب، وذلك منذ بداية تفسير الآيات القرآنية وإعجازها، واستخراج الأحكام الشرعية منها، فالقرآن الكريم كان الحاضن الأول للبحث الدلالي. فيعرفها **الراغب الأصفهاني:** «الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، سواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي»[1]، فنلمس معنى الدلالة بصورة جلية فهي دراسة ما يدل على شيء يتوصل به إلى معنى، والألفاظ أكثر من الرموز أكثر من المعنى، وأكثرها إشارة ودقة في التعبير، وهو يشير إلى الدلالة اللسانية وغير اللسانية.

رغم هذه المبادرات الأولى في الدراسات الدلالية، إلا أن الدلالة لم تكن علماً قائماً بذاته، إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حيث وضع العالم الفرنسي **ميشال بريال Michel Bréal** مصطلح "Sémantique"، وهو يُشرف من خلاله على البحث في الدلالة فيقول: «إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم، لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أن هذه الدراسة

[1]_الأصفهاني الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، مر: وائل أحمد عبد الرحمن، د ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر 2003م، ص177-178.

تستحق اسماً خاصاً بها، فإننا نطلق عليها اسم "سيمانتيك" للدلالة على علم المعاني»[1]. **فبريال** بوضعه لهذا المصطلح ركز على القوانين التي تنظم تغير المعاني على عكس معظم اللسانيين الذين اهتموا بشكل الكلمة فقط، محيطا بكل جوانبه فأطلق على هذا العلم اسم سيمانتيك.

أما عند العرب، نجد **أحمد مختار عمر** في كتابه "**علم الدلالة**" يعرف يعرفه بأنه: «العلم الذي يدرس المعنى، وهو فرع من فروع علم اللغة، الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى»[2]، فعلم الدلالة بدراسته للمعنى يضبط الشروط التي يجب أن تتوفر في الرمز حتى يكون ذا معنى.

إذاً، فعلم الدلالة قديم النشأة حديث المنهج والتطبيق، عُني بدراسة معاني الألفاظ ودلالاتها، ولم تظهر معالمه جليَّة إلا حديثاً مع علماء اللغة المحدثين مرتكزين على جهود القدامى ومبادراتهم في الدراسات الدلالية.

2. ماهية الصراع:

إن الصراع ظاهرة ذات أبعاد متناهية التعقيد، بالغة التشابك، يمثل وجودها أحد معالم الواقع الإنساني الثابتة، وهو يعني وجود تعارض بين دافعين لا يمكن إشباعهما في آن واحد حيث تعود الخبرة البشرية بالصراع إلى نشأة الإنسان الأولى، فللصراع جذور تربطهُ مع مختلف الأبعاد: نفسية، اجتماعية... .

[1]_منقور عبد الجليل: علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي، د ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا2001، ص20.

[2]_ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة، مصر 1998م، ص11.

1.2. المفهوم اللغوي:

للبحث عن مفهوم مفردة ما، لابد من الخوض في جذورها اللغوية في مختلف المعاجم والقواميس العربية والغربية، فقد حضرت لفظة "صراع" في معجم "**لسان العرب**" **لابن منظور**: «الصَرْعُ: الطرح بالأرض وخصه في التهذيب بالإنسان، صارعهُ فصرعهُ يصرعهُ صَرعاً وصِرعاً، الفتح لتميم والكسر لقيس؛ عن يعقوب، فهو مصروعٌ وصَريعُ، والجمع صرعى؛ والمصارعة والصِّراعُ: معالجتهما أيهما يصرعُ صاحبهُ...والصّرعُ: علّةٌ معروفةٌ، والصّريعُ: المجنون، ومررت بقتلى مصّرعين، شُدِّدَ للكثرة. ومَصارعُ القوم: حيث قُتلوا. والمنية تَصْرعُ الحيوان، على المثل»[1]، فمشتقات كلمة "صراع" عند ابن منظور جاءت بمعانٍ مختلفة، كالصرعُ وهو الطرح على الأرض، و منه الصّرع وهو المرض المعروف.

كما ورد المصدر صَ رَ عَ في معجم "**مختار الصحاح**": «صَ رَ عَ، (صارعهُ فصرعهُ) من باب قَطَعَ في لغة تميم. وفي لغة قيس (صِرْعاً) بالكسر. و(المَصْرَعُ) بوزن المَجْمَعِ مصدرٌ وموضعٌ. ورَجُلٌ (صَرْعَةٌ) بوزن همزةٍ أي يصرعُ الناس. و(الصَّرْعُ) علّةٌ معروفةٌ. و(التَّصريعُ) في الشعر تقفية (المِصْراعِ) الأول وهو مأخوذ من (مِصراعِ) الباب وهما مِصرعانِ»[2]،فالمَصْرعُ هو مصدر صَرَعَ، و من يصرعُ الناس يسمى صرعة، أما الصّرع هو المرض المعروف، والتصريعُ المتعارف عليه في الشعر وهو توافق القافية بين الصدر والعجز في البيت الواحد، أما مِصراع الباب كقولنا فُتح الباب على مِصرعيه.

أما في **القرآن الكريم**، فقد حضر مفهوم "الصراع" في لفظة "صرعى" الدالة عليه في قوله تعالى:« سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وثَمَانِيَةَ أيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

[1] _ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مج4، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان1997م، ص 33.
[2] _ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، د ط، مكتبة لبنان ، بيروت1982م، ص151، 152.

خَاوِيَةٍ»[1]، فنلاحظ أن لفظة الصراع لم تحضر في القرآن الكريم بمعناها الحرفي، بل حملت لفظة "صرعى" هنا معنى الطرح على الأرض والهلاك.

وإلى جانب المعاجم العربية، جاءت مفردة "صراع" في المعاجم الغربية أيضاً، على رأسها قاموس "**أكسفورد**" الإنجليزي:«Conflit(n): صراع، صدام، نزاع، تعارُض، تضارُب، تناقُض، أو تعَارَضَ أو تضَارَبَ مع»[2]، وهي مفردات لفظة "الصراع" بمعناها العام لا بمعناها الحرفي، فالنزاع مثلا هو أحد مراحل الصراع.

أما في القاموس الفرنسي **Larousse** فقد وردت كلمة «صراع" بمعنى: Conflit(nm): تعارض الآراء والمشاعر، تعارض المصالح بين دولتين أو بين بلدين»[3]، عُنيَ مفهوم الصراع هنا بالأشخاص والدول، فقد ينشأ بين شخصين لتضارب آرائهما، وبين دولتين لاختلاف أهدافهما.

إذا فالصراع لغة له العديد من المعاني نظراً لكثرة اشتقاقاته في المعاجم العربية؛ كالطرح على الأرض أو الصّرع المعروف كعلة مرضية...، وفي القرآن الكريم فوردت لفظة "صرعى" الدالة على السقوط أرضاً أو الهلاك، أما في المعاجم الأجنبية فنجد لفظة "الصراع" تعني التصادم والاختلاف والتعارض.

2.2. المفهوم الاصطلاحي:

تعددت بؤر الاهتمام ونقاط التركيز، التي يوليها المختصون أهمية كبيرة عند تناولهم لمفهوم الصراع بالدراسة والتحليل، لذا فيمكن تفسير ظاهرة الصراع تبعاً للعلوم الإنسانية على النحو الآتي:

[1]_ سورة الحاقة، الآية 07.

[2]_Victoria Bull : Oxford dictionary, Oxford University press, China, 4th edition, 2008, p89.

[3]_Larousse, p86.

1.2.2. الصراع في الأدب:

مفهوم الصراع أدبيا نجده **في** "**معجم مصطلحات الأدب**" **لمجدي وهبة**، بحيث يرى أن الصراع هو «التصادم بين الشخصيات أو النزاعات الذي يؤدي إلى الحدث في المسرحية أو القصة، وقد يكون هذا التصادم داخلياً في نفس أحد الشخصيات، أو بين إحدى الشخصيات وقِوى خارجية كالقدر أو البيئة، أو بين شخصيتين تحاول كلٌ منهما أن تفرض إرادتها على الأخرى»[1]، **فمجدي وهبة** يرى أن الصراع هو التصادم بين الشخصيات في القصة أو المسرحية، وقسمه بدوره إلى ثلاثة أنواع هي: شخصية ضد نفسها وهو ما أطلق عليه اسم الصراع الداخلي وشخصية ضد العوامل الخارجية المؤثرة، وهو ما يُعرف بالصراع الخارجي، كما أضاف نوعاً آخر وهو تصادم شخصية ضد شخصية أخرى لاختلافهما في الآراء أو الأهداف.

كما يقول **إبراهيم فتحي** في معجمه "**المصطلحات الأدبية**" أيضا، أن الصراع: «يُسمى تضاد الأشخاص أو القوى الذي يعتمد عليه الفعل في الدراما والقصة صراعاً، والصراعُ الدرامي هو الصراع الذي ينمو من تفاعل قِوى متعارضة (أفكار، مصالح، وإرادات) في حبكة، ويمكن القول أن الصراع هو المادة التي تُبنى منها الحبكة»[2]، لقد ربط **إبراهيم فتحي** الصراع بالفعل الدرامي، وهو يتشكل أساساً بوجود قِوى متضاربة الآراء والمصالح، مؤكداً أن الصراع هو لُبُّ الحبكة.

كما يُقدم لنا الدكتوران **الأزهر ضيف** و**زيدان جميلة** تعريفاً مفصلاً لمفهوم الصراع، فهو «عادة ما يشير إلى حالة أو وضع تقوم فيه جماعة من البشر، بالاشتباك في نوع من المعارضة الواعية مع جماعة أو أكثر من جماعة، على أساس أن الجماعة المناوئة تبدو أنها تسعى إلى أهداف لا تقبلها الجماعة الأخرى، فالصراع هو نوع من التعامل حول قيم ودعاوى

[1]_Magdi Wahba, A dictionary of literary terms, English-French-Arabic, Lebanon library, Beirut, W.E, 1994, p85.

[2]_إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، د ط، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس 1988م، ص222.

بشأن موارد وسلطة، أي أن الصراع (Conflict) ينطبق على التفاعل الذي يحدث بين البشر وبعضهم البعض، فهو أكثر من التنافس، الذي هو أبسط أنواع الصراع، ومن صور الصراع المعقدة: الأزمة والتوتر والنزاع»[1]، فالصراع هو نوع من التفاعل بين جماعتين أو أكثر من البشر، تختلف كل منهم في الأهداف والأفكار، وهو أكثر حدة من التنافس وأقل من الأزمة، ويشير إلى أن الأزمة والتوتر والنزاع هي من أعقد صور الصراع.

ويضيفان أن: «الصراع هو تنازع الإرادات الوطنية والقومية، وهو نابع عن الاختلافات والتناقضات بين أهداف الدول وإمكانياتها، والصراع لا يتخذ شكل المواجهة المسلحة، وإن كانت أشكاله ومظاهرهُ تتعدد كأن يكون سياسياً أو اقتصادياً، أو عالمياً أو تكنولوجياً والصراع تتعدد وسائلهُ كأن تكون حصاراً أو تهديداً أو تحالفاً أو تحريضاً، وتتعدد أسبابه كأن تكون سياسية أو اقتصادية أو استراتيجية أو اجتماعية... »[2]، ومنه فالصراع نابع عن اختلاف وتناقض بين أهداف الدول، إلا أنه لا يتعدى الطرق السلمية، فهو لا يتخذ شكل المواجهة المسلحة، رغم اختلاف مظاهره ووسائله وأسبابه.

نستنتج من التعريفات الآنف ذكرها، أن الصراع هو النزاع والتصادم والاختلاف والتوتر في الأفكار والأهداف بين مجموعتين أو أكثر، أو دولتين أو أكثر، وهو نوعان: صراع خارجي يكون بين الدول لاختلاف مصالحها وأهدافها، كما يكون بين المجموعات لاختلاف المعتقد (الدين) أو الأفكار، وصراع داخلي يمثل حالة ذهنية بين الإنسان ونفسه بسبب حيرته حول أمر مهم عجز عن اتخاذ قرار بشأنه.

[1] _الأزهر ضيف وجميلة زيدان: نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع20، جامعة الوادين ديسمبر 2016، ص189-190.

[2] _ المرجع نفسه، ص189-190.

2.2.2. الصراع في علم النفس:

الصراع النفسي هو حالة متعارف عليها في علم النفس، يشعر بها الإنسان عند التناقض بين رغباته وعجزه عن الوصول إلى قرار ثابت أو اختيار محدد، بسبب كثرة الدوافع المتناقضة والمتضاربة لديه، فـ «إذا حال حائل دون إرضاء الدوافع أو الحوافز بصورة مستمرة أو مؤقتة صارت النفس البشرية مسرحاً لما يسمى بالصراع النفسي mental conflict»[1]، بمعنى إذا كان هناك حاجز يمنع النفس البشرية من تحقيق مبتغاها، يحصل للإنسان صراع نفسي داخلي، فالمتعارف عليه في علم النفس أن دوافع الإنسان وأهدافه تزداد قوة إذا منعت من التحقيق أو وُضعت عراقيل في سبيل تحقيقها.

فالصراع في علم النفس يكون بين العقل والغريزة، أو بين العقل والضمير، وقد يكون بين الخير والشر، أو بين الفضيلة والرذيلة. فالنفس الأمارة بالسوء تمثل الشر والنفس الداعية إلى الرعاية والإحسان تمثل الخير، ويبحث علم النفس والأخلاق في هذه الصراعات الداخلية وقد تطور علم نفس الذات "Ego Psychology" من أجل التعمق في جوانب القوة والضعف في الذات أو الأنا، حتى يمكن مساعدتها وتقويتها على القيام بدور الموفق بين نزاعات الإدْ (الهو)، أو مطلب الغريزة، وبين المثل العليا للضمير أو الذات العُليا»[2]، يشير **الدارس عثمان عمر بن عامر** إلى أن للصراع النفسي جانبين أساسين، وهما الخير والشر، وأن الصراع النفسي وجه هام من وجوه الحياة غير الممكن تجنبها أو علاجها، فعلماء النفس والأخلاق يبحثون في هذه الصراعات لتمكين النفس من التعايش مع مطالب الغريزة.

يشير الدارس **مصفى زيور** في معرض حديثه عن الصراع «أما في التحليل النفسي فيشير هذا المصطلح إلى ذلك التعارض اللاشعوري، بين رغبة غريزة تنشد التفريغ وميل

[1] _ فاخر عاقل: علم النفس، ط9، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان1979م، ص 242.

[2] _ينظر: عثمان عمر بن عامر: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع والعمل الاجتماعي، ط1، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ليبيا 2002م، ص67.

يعارض ذلك ويناهضهُ »[1] ، فالصراع في التحليل النفسي يدور بين الرغبات الغريزية اللاشعورية، وبين الوظائف الدفاعية المعارضة.

وعليه يمكن القول أن الصراع النفسي قائم بين قوتين: قوى غريزية تسعى دائماً لتحقيق رغبتها، وقوى أخرى مضادة لها.

3.2.2. الصراع في علم الاجتماع:

بما أن الصراع النفسي موضوعه الأساسي هو "النفس"، فإن الصراع الاجتماعي مركزه "العلاقات الاجتماعية"، وهو صراع بين شخص وشخص، أو بين شخص وجماعة، أو بين جماعة وجماعة، أو بين جماعة ومجتمع، أو بين مجتمع ومجتمع.

فالصراع الاجتماعي Conflict Social/Social Conflict: «الاتجاه الذي يهدف إلى الفوز على الأفراد أو الجماعات المعارضة، أو الإضرار بها أو بممتلكاتها أو بثقافاتها أو بأي شيء تتعلق به، ومن ثم يأخذ الصراع شكل هجوم ودفاع»[2]، بمعنى أن الصراع في الحياة الاجتماعية يعني صدام المستلزمات والرغبات والآراء وغيرها، التي تشمل طرفين أو أكثر.

إنّ الحديث عن فكرة الصراع الاجتماعي في غالب الأحيان، تقودنا للحديث عن الصراع السياسي، هذا الأخير يأتي مرفقاً لمفهوم القوة، فنظرية الصراع الاجتماعي تعتبر «من أكثر النظريات السوسيولوجية اقتراباً من مفهوم القوة، بحثاً وتحليلاً، ونقطة انطلاق فالصراع كعملة اجتماعية تجري حتماً بين قوى مختلفة، متساوية أو متباينة في حجمها وقدرتها، بل إن الموضوعات الاجتماعية التي يناظر الناس من أجلها أو يكافحون (الثروة، المال والجاه...)هي أساساً مصادر للقوة ومرتكزات أساسية لاكتسابها، ولذلك فإن صراع القوة كما تظهره نظرية

[1] _ فرج عبد القادر طه: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص248-249.
[2] _ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د ط، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م، ص382.

الصراع، يعتبر جوهر الدينامية في الحياة الاجتماعية، وأساس التغيرات فيها»[1]، إذن فالصراع الاجتماعي هو صراع قوة بين جهتين أو أكثر، قد تكون متساوية أو مختلفة في الحجم أو القدرة من أجل الثروة، المال والجاه...، وعليه فتفاوت السيطرة على مصادر القوة داخل المجتمع، هو سبب نشوب الصراعات بين أطرافه.

كما ذكر **إبراهيم علي ربابعة** في حديثه عن الصراع الاجتماعي أنه: «عملية تفاعل اجتماعي بين طرفين أو أكثر، تبدأ عندما يدرك أحد أطرافها أن الطرف الآخر يعيق أهدافه مما يخلق لديه شعوراً بالإحباط، يقوده إلى تفسير طبيعة الموقف ومقاصد الطرف الآخر وبالتالي إلى القيام بسلوك معين، قد ينهي الصراع أو قد يؤدي إلى تطورات أخرى واستمرار الصراع»[2]، فهو يرمي إلى أن الصراع سلاح ذو حدين، أي أنه قد يؤثر على طرف من أطرافه بشكل إيجابي، بأن يُنشأ لديه شعور التنافس، الذي يمنع وصوله إلى الإرباك والإحباط ومنه الاستمرار في السعي إلى هدفه، ومن ناحية أخرى يمكن أن يكون الصراع وسيلة للهدم والدمار وبالتالي إنهاء الصراع دون الوصول إلى الرغبة المنشودة.

ومجمل القول أن مفهوم الصراع مفهوم واسع متشعب، متعدد النظريات والآراء، بيد أن معظم التعريفات التي تطرقنا إليها تُجمع على مفهوم متقارب؛ فالصراع هو نزاع واختلاف وتضارب في الآراء والمصالح والمعتقدات، وقد يكون بين الإنسان ونفسه، أو بين شخص وآخر، أو بين مجموعتين أو أكثر أو بين دولتين أو أكثر، ومن هنا يتبين لنا نوعين من الصراع: صراع داخلي (بين العقل والضمير)، وصراع خارجي (بين الإنسان وبيئته أو مجتمعه).

[1] _ محمد عبد الكريم الحوراني: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ط1، دار مجدلاوي، عمان، الأردن 2008م، ص87.

[2] _ إبراهيم علي ربابعة، إدارة الصراع والنزاع، شبكة الألوكة، www.alukah.com . (كتاب إلكتروني).

ومع تداخل الصراع في العلوم الأخرى، اتسعت دائرة مفاهيمه فكلٌ يفسره حسب مجاله فعلماء النفس جعلوا "النفس" مركزاً للصراع، فهذا الأخير ينشأ داخل الإنسان من عدم إرضاء الدوافع والحوافز التي يسعى إليها، وهو غير منفصل تماما عن الصراع الاجتماعي .

3.2. أنواع الصراع.

نظراً لتعدد مفاهيم الصراع وتداخله مع مختلف العلوم الأخرى (علم الاجتماع، علم النفس...)، وهو ظاهرة لا يمكن تجنبها في شتى مجالات الحياة، سواء المجال النفسي أو الديني أو الإيديولوجي... . وفي هذا العنصر سنتطرق إلى أهم أنواع الصراع.

1.3.2. الصراع النفسي:

من المعروف أن الصراع يعدُ من الأمور الطبيعية والسوية على اعتبار أن كل إنسان يمكن أن يعيش أو يصادف صوراً وأشكالاً متعددة من الصراع. وذلك بدرجات ومقومات مختلفة شعورية ولا شعورية، بحيث يمكن أن يؤدي إلى العديد من الأمراض والاضطرابات النفسية، وهذا يعني أن حياتنا لا تخلو من الصراع النفسي، ولكن خطورته لا تكمن في وجوده وإنما في استمراره وشدته.

يعرفهُ **أديب الخالدي** فيقول: «الصراع النفسي هو تعرض الفرد لقوى متساوية، تدفعهُ باتجاهات متعددة، مما تجعله عاجزاً عن اختيار اتجاهٍ معين، يترتب عليه الشعور بالضيق وعدم الارتياح، وكذلك حالة قلق، وهذا ناتج عن صعوبة اختياره، أو اتخاذ القرار بشأن الاتجاه الذي يسلكه»[1]، ونلاحظ من خلال هذا التعريف أن الصراع النفسي يتشكل من عدم قدرة الفرد على اختيار اتجاه معين ليسلكه، عندما يجد أمامه دافعين أو أكثر متساوون في القوة، فيتولدُ لديه شعور بالضيق وعدم الارتياح والقلق، وهو ما يؤدي غالباً إلى اضطرابات نفسية.

[1] _ أديب الخالدي: المرجع في الصحة النفسية، د ط، الدار العربية، غريان، ليبيا 2002م، ص124.

وفي موضع آخر يقول **الخالدي**: «هو حالة تصادم الدوافع والحوافز وفيها يكون للفرد اختياران، بين هدفين أو موقفين متكافئين بالقوة، ومتناقضين بالاتجاه، والسمة الغالبة في الصراع النفسي هو أن الفرد الذي يتوجب عليه الاختيار، يشق عليه أن يحسم الصراع لصالحه أو لصالح أحد الاختيارين، وفي الصراع العادي لا يشعر الفرد بالألم أو التردد وهو يختار، بل تتم المفاضلة تلقائياً»[1]، فا**لخالدي** يؤكد أن الصراع النفسي هو تصادم الدوافع داخل الفرد، ما يؤدي إلى شعوره بالألم والتردد، على عكس الصراع العادي الذي يتم فيه الاختيار تلقائياً بلا تردد.

ويعرفهُ **عباس محمود عوض** بقوله: «الصراع النفسي هو ذلك الصراع الدائم المستمر لا الصراع المؤقت العابر، والذي ينشأ نتيجة تعارض دافعين، لا يمكن في وقت واحد إرضاءهما لتساويهما في القوة، أو هو الحالة النفسية المؤلمة التي تنشأ عن هذا التعارض إذاً الصراع يمكن أن يكون التنافس بين دافعين، كل منهما يريد الإشباع»[2]، فحسب **عباس محمود عوض** فالصراع النفسي يكون حالة دائمة لا مؤقتة، وهو يوافق أديب الخالدي في أنه تعارض دافعين بنفس القوة، يتنافسان لنيل الإشباع وهو ما يولد داخل الفرد الحيرة والألم والقلق.

كما تطرق عالم النفس **سيغموند فرويد** إلى الصراع النفسي، فذهب إلى: «أن الاضطراب النفسي يرجع في أساسه إلى صراعٍ بين حفزة غريزية، وخوف من ألم ممكن مرتبط بالحفزة، هذا والفرد يشيد قلاعاً تحميه من آلام محتملة من العالم الخارجي ومن عالمه الداخلي، وأن الفرد يصبح عصابياً عندما يعجز عن إشباع دوافعه، لأسباب داخلية أم خارجية، ولكن أي كان مصدر الصراع، فإنه لا يكون في النهاية إلا نتاجاً للصراع بين الهو

[1]_أديب الخالدي: المرجع في الصحة النفسية (نظرية جديدة)، د ط، دار وائل، 2009م، ص160.

[2]_عباس محمود عوض وآخرون: علم النفس الاجتماعي في نظرياته وتطبيقاته، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1994، ص377.

والأنا»[1]، فقد يؤدي الصراع إلى شعور الفرد بالقلق والتوتر، فيعجز عن بلوغ أهدافه المتعارضة والمتعددة، فيقع ضحية الإحباط الذي يُخل بتوازن الشخصية، فيحاول الفرد التغلب على هذا الصراع، بممارسة بعض الآليات الدفاعية في محاولة منه لحل صراعه وخفض شدة توتره. فقد يتقمص مثلاً شخصية ما، أو يبرر فشله أو يكبتُ في نفسه، أو يُسقط فشله على الآخرين، وأحيانا قد يسمو بغرائزه ويعلو بها في مجالات الإبداع.

والصراع النفسي غالباً ما ينتج عن تراكمات نفسية مكبوتة داخل الإنسان منذ صغره حيث «تنشأ الصراعات النفسية في العادة في مرحلة الطفولة بسبب كبتها، والصراعات المكبوتة وغير المحلولة عادة ما تظهر على السطح من حين لآخر، فتسبب للمرء أعراضاً مرضية»[2]، فالمشاعر والأعباء التي يكبتها الطفل ويعجز عن حلها، تسبب له صراعات نفسية داخلية، ترافقه طوال فترة طفولته، عادة ما تتطور لتصبح أعراضاً مرضية ومنه اضطرابات نفسية خطيرة.

إذاً فالصراع النفسي يحدث نتيجة تضارب بين أوامر الواجب وميول النفس، وينشأ حين يريد الشخص إشباع حاجتين في وقت واحد، عندما يعترض عائق طريق إشباع حاجته وتحقيق غايته، ففي كل هذه الحالات وغيرها، يشعر الإنسان بالمرارة والغضب والحزن والقلق... فيكبت هذه المشاعر ويبقى في حالة تأزم لفترة من الوقت، قد تطول أو تقصر وإذا لم يحل الصراع واستمر، فقد يصبح مزمناً ويهدد الصحة النفسية للإنسان.

[1] _ ليلى محمد العارف: الاضطرابات السيكوسوماتية وآليات الدفاع النفسي والعصابية وعلاقتها بالصراع النفسي، مجلة مركز جيل البحث العلمي، ع3، ليبيا 2014م، ص18.

[2] _المرجع نفسه، ص18.

2.3.2. الصراع الديني:

لقد اشتد حضور العامل الديني بصورة كبيرة إلى جانب عوامل أخرى، كالسياسي والاجتماعي والاقتصادي في العديد من النزاعات المحلية والدولية، إضافة إلى بروز الدين كمصدر للانتماء على نحو متزايد، أدى إلى ظهور صراعات دموية بين أعراق ومعتقدات دينية مختلفة. فعلى أي أساس يُصنف نزاع ما على أنه صراع ديني؟

في هذا الصدد حاولت **سامية ربيعي** تسليط الضوء على هذه النقطة بالذات حيث قالت: «فالتوصيف للنزاع بأنه ديني إلى الاقتران المفترض بين الدين والعنف، وهو الأمر الذي تأسس في ظل التقسيم الثنائي (ديني وعلماني)، حيث اقترنت العلمانية بروح التسامح ونبذ العنف، واقترن الدين بالإقصاء والتطرف والعدوان والحروب والنزاعات، وبالتالي فإنه بمجرد حضور العامل الديني في النزاع سواء كهوية للأطراف المتناحرة، أو كقضية في النزاع، أو كبُعد معياري يجعل من الدين العامل الأهم في النزاع، رغم اعتراف تلك الأديان بالعجز عن فصل العامل الديني عن العوامل التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى تجاهلها لتعريف الدين وتباين مداه وحدوده»[1]، ويتضح من خلال قول **سامية ربيعي** أن النزاع الديني مقترن بالتقسيم الثنائي: ديني وعلماني، حيث اعتبرت أن التسامح والسلام ونبذ العنف متصل كل الاتصال بالعلمانية، أما الحروب والنزاعات والعدوان فهي مقترنة بالدين مؤكدة في الأخير على أن حضور العامل الديني في النزاع، يكون هو العنصر الأهم للصراع.

كما يعرف **إبراهيم خطيب** الصراع الديني بقوله:« هو الصراع الذي يكون فيه الدين بمثابة الأساس لطموحات سياسية لسياسة مجموعة معينة»[2]، بمعنى أنه يمكن للبعض أن يتخذ

[1] _ سامية ربيعي، في مفهوم النزاعات الدينية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، ع6، د ت، ص116.

[2] _ إبراهيم خطيب: هل نحن أمام صراع ديني، مجلة دنيا الوطن، ع5، د ت، ص36.

الدين كذريعة أساسية للوصول وتحقيق غايات سياسية، وهنا نذكر أن الصهيونية تمثل النموذج الأبرز لاستغلال الدين كدرع أخلاقي لتبرر مشاريعها.

ويضيف الدارس قائلا« كما أن الصراع الديني هو ذلك الصراع الذي يستجيب لواحدة من هذه المعايير؛ صراع بين مجموعات تتبع ديانات مختلفة، أو صراع بين مجموعات من الطوائف في نفس الدين، أو القضايا التي تشمل قضايا دينية مهمة يقع حولها الصراع»[1]، وهنا يوضح **إبراهيم خطيب** هنا أن الصراع الديني، لا يكون بين تلك المجموعات التي لها ديانات مختلفة فقط، بل يحدث أيضاً بين طوائف من نفس الدين، بالإضافة إلى القضايا الدينية التي يقع حولها الصراع، ومثال ذلك ما يظهر في سياسية دولة ما، تُجاه الدين أو دور الدين في النظام.

عندما يصبح الصراع عقيدة، فإنه يستحوذ على روح الدين ويصبح بحد ذاته غاية، ومع مرور الزمن تظهر آثاره حتى على أتباع الدين الواحد، وقد وقف **أحمد وهبان** مطولاً على هذه النقطة بالذات قائلا:« وهنا يتحول الناس من الصراع الديني إلى الصراع الطائفي، وكما جرى تأصيل الصراع دينياً مع الصهيونية وجعله حرباً دينية يهودية إسلامية، يجري تأصيل الصراع بين طوائف المسلمين وجعله من مسلمات العقيدة، التي لا تحتاج إلى دليل»[2] والاعتقاد السائد هنا أن الاختلاف في المعتقد هو سبب الصراعات والحروب، كما أن العودة للدين انتقاماً وبحثاً عن قوة تُنهب حماس المظلومين هي الهدف الأساسي، الذي يعمل السياسيون وأصحاب النفوذ على استغلالها، وتوظيفها تُجاه خصومهم لتحقيق مصالحهم الخاصة.

ومن جهة، أخرى نجد أن الظلم والفقر يمثلان أرضاً خصبةً لنشوب صراعات عقائدية وفي هذا يقول **عامر حافي:** «يمثل الظلم والفقر والجهل منطلقاً خصباً للبحث عن عقيدة

[1] _ إبراهيم خطيب: هل نحن أمام صراع ديني، مجلة دنيا الوطن، ص36.

[2] _ أحمد وهبان: الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، ط3، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، د ت، ص166.

صراعية، تحقق القدر الأكبر من التناقض مع الخصوم، وتعطي للصراع معنى مطلقا ومقدسا يتجاوز عالم الأسباب وسياقاته الموضوعية»[1]، بمعنى أنه يمكن أن يكون الظلم العامل المساعد الأكبر لتحقيق وزيادة شرارة الصراع بين الخصوم.

وفي الحقيقة أن تديين الصراعات وشيطنة الخصوم وجعلهم شراً مطلقاً، لا يحتاج إلا لقليل من البغضاء والجهل وانحدار القيم الإنسانية، في حين لا يتطلب حل الصراع وفهم أسبابه الموضوعية إلا لكثير من الرقي والرحمة والمعرفة.

3.3.2. الصراع الأيديولوجي:

يعتبر مصطلح الأيديولوجيا من أعقد المصطلحات في الساحة الفكرية اليوم؛ لوجود تداخلات مفاهيمية لهذا المصطلح من سياسية وفكرية ووجودية وعقائدية وثقافية وغيرها حيث تتجمع هذه الأفكار عند الأشخاص والجماعات والدول، وتشكل أقطاباً فكرية يمكن من خلالها الإطلال على العالم عبر نافذتها.

إنه لمن الصعب الاتفاق بشكل واضح وصريح حول مفهوم الأديولوجيا، فالباحث السياسي البريطاني **ديفيد ماكليلان** يرى «أن الأديولوجيا هي أكثر المفاهيم مراوغة في العلوم الإنسانية بأكملها»[2]، فالعلماء المختصون في العلوم السياسية يواجهون إشكالية حقيقية في ما يخص المصطلحات والمفاهيم.

يتكون مصطلح الأديولوجيا أساساً من مقطعين "idea" وتعني الفكرة، و"logos" وتعني علم، وبجمع اللفظتين نجد معنى جديداً للمصطلح وهو "علم الأفكار"، الذي يعرفه واضع

[1] _ عامر حافي: الأديان بين الصراع والوئام، https://www.taadudiya.com، أطلع عليه في 03/03/2021 على 16:24.

[2] _أندرو هيود: مدخل إلى الأديولوجيات السياسية،، ط1، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، تر: محمد صفار 2012، ص14.

المصطلح **دي تراسي De Tracy** على أنه «العلم الذي يدرس الأفكار، بالمعنى الواسع لكلمة أفكار، أي مجمل واقعات الوعي من حيث صفاتها وقوانينها وعلاقتها بالعلائم التي تمثلها»[1]،فينبغي على الأديولوجيين «دراسة الأفكار كما يدرس غيرهم الدورة الدموية»[2]، فهو يؤسس لمفهوم الأديولوجيا من خلال تقديم أهم مبادئها، وهو وجوب الدراسة العلمية للأفكار؛ أي إلزامية دراسة الأفكار وفق منهج علمي بيّن المعالم.

وقد اكتسبت الأديولوجيا عبر التاريخ باختلاف التفسيرات والاستعمالات للمصطلح؛ معانٍ إيجابية تارة وسلبية تارة أخرى، لذلك فقد خلص **مارتن سيلجر** إلى تعريف وافي لها بوصفها «مجموعة من الأفكار يضع من خلالها الناس ويفسرون ويبررون غايات ووسائل النشاط الاجتماعي المنظم، بغض النّظر عما إذا كان ذلك النشاط يهدف إلى الحفاظ على نظام اجتماعي بعينه أو تعديله أو اقتلاعه أو إعادة بنائه. وبهذا التعريف، لم تعد الأديولوجيات لا جيدة ولا سيئة، لا صادقة ولا كاذبة، لا منفتحة ولا مغلقة، لا محررة ولا إكراهية، وإنما تستطيع أن تكون كل تلك الأشياء»[3]، فالأديولوجيا تُحددُ من خلال أفكار الناس وأهدافهم.

أما **عبد الله العروي** في كتابه "مفهوم الأديولوجيا" يعدُّ لفظة الأديولوجيا دخيلةً على معظم اللغات، ولم تحتفظ بمعنى واحد مع مرور الوقت، بل تطورت واكتسبت معانٍ جديدة مع كل مستخدم جديد فيقول:«...إن العبارات التي تُقابل الأيديولوجيا: منظومة فكرية، عقيدة ذهنية...»[4]. كما أشار إلى لفظة إسلامية قريبة من لفظة إيديولوجيا وهي لفظة الدعوة. ويقول

---

[1]_Antoin louis claude: Destutt de Tracy's elements of ideology, https://www.britannica.com , In 1\05\2021, 7:23a.m.

[2]_Encyclopédie Agora, fondée par Jucques Dufresne et Hélène Leberge, https://www.agora.qe.ca/mot.nsf/dossier/ideology , in 1/05/2021, 8:50a.m.

[3]_ أندرو هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ص20.

[4]_ عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، د ط، المركز الثقافي العربي، المغرب 2012م، ص09.

أيضا نقلا عن ماركس وأنجلز–الأيديولوجيا الألمانية– أن «الأيديولوجيا عملية ذهنية يقوم بها المفكر وهو واع، إلا أن وعيه زائف لأنه يجهل القوى الحقيقية التي تحركه، ولو عرفها لما كان فكره إيديولوجي»[1]، أي أن الأيديولوجيا عملية فكرية على ذات وعي زائف وهي محركه الخفي.

أما **محمد برادة** فيرى أن الأيديولوجيا هي «المعنى الواسع الذي يشمل مجموع الأفكار والمعتقدات، وطرائق التفكير المميزة لفئة ما مثل أمة أو طبقة، أو طائفة أو مهنة، أو فرقة أو حزب سياسي...إلخ»[2]، فهي منظومة فكرية على شكل أفكار ومعتقدات، تتبناها طبقة اجتماعية معينة داخل مجتمع ما، لتحقيق رغبات وقيم تكون بمثابة أديولوجية هذه الفئة.

إذاً فالأيديولوجيا تعني نظام من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد، التي تُؤمن بها جماعة معينة، وقد تكون سلبية في كونها تسجن العقل في قفص من الأفكار والخرافات القديمة وتمنعهُ من التحليق إلى علم جديد، وتكون إيجابية في كونها تحمل قيماً وأخلاقاً نبيلة ولها هدف سامي جوهري.

أما الصراع الأيديولوجي فقد ظهر بظهور الأيديولوجيا، ونعني به «الصراع بين مختلف الأفكار والفلسفات والقيم والاعتقادات التي تعتنقها جماعات مختلفة أو نظام سياسي معين في مواجهة نظام آخر مناقض له»[3]، فهو حالة من التعارض بين أفكار ومعتقدات وقيم جهتين أو أكثر من الناحية الاجتماعية، ومن الناحية السياسية يشير إلى تضارب المصالح أو الأنظمة بين الأشخاص أو المنظمات أو الجماعات، ما قد يؤدي إلى الصراع المسلح.

يقول **عبد المالك خلف** أن «مظاهر الصراع في عالما العربي يغلب عليها الطابع السياسي، بيد أن الحاسم في الأمر هو الجانب الفكري بين تيارات يبقى خلافها حتى لو تمكنت

[1]_ عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ص 34.

[2]_ محمد برادة: محمد مندور وتنظير النقد العربي، د ط، منشورات دار الآداب، بيروت 1979م، ص170.

[3]_دالع وهيبة: التحول من الصراع الأيديولوجي إلى الصراع الحضاري: الخلفيات والأبعاد، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، م05، ع01، 2020م، ص 685.

من حل اختلافاتها ، فيصوره البعض بأنه صراع بين التيار الديني وأعدائه، أو صراع سياسي بين قوى تريد الوصول إلى السلطة، غير أنه صراع فكري مضطرب غير واضح المعالم والرؤى، هو صراع أديولوجي يقوده أناس ليس لديهم وضوح أديولوجي»[1]، فالسبب الرئيس في نشوب مختلف النزاعات هو اختلاف الأفكار والأديولوجيات، التي تظهر عندما يحاول فرد أو جماعة معينة أو نظام سياسي فرض أديولوجيته على الآخر، وينوي جعلها المسيطرة.

ومن أنواع الصراعات الأديولوجية، نجد أخطرها الصراع السياسي، فالجانب السياسي من أهم الجوانب المسيطرة في عصرنا الحالي، فهو يقف عند جدليات حاسمة كالصراع بين الحاكم والعامل وأرباب وسائل العمل، وتعرّفه دائرة المعارف الاجتماعية «الصراع السياسي موقف تنافسي خاص، يكون طرفاه أو أطرافه على دراية بعدم التوافق في المواقف المستقبلية المحتملة، والتي يكون كلٌّ منهم مضطراً فيها إلى تبنّي أو اتخاذ موقف لا يتوافق مع المصالح المحتملة للطرف الثاني أو الأطراف الأخرى»[2]، فالصراع السياسي هو حالة من التنافس الخاص بين البشر على الحكم، أو السلطة، أو الحصول على الميزات، نظراً لاختلاف الأفكار السياسية، ويتأثر حجم الصراع بحجم أهدافه؛ فكلّما كان الهدف كبيراً كان الصراع أكبر، ويمكن أن نميز بين خمسة مستويات تبيّن حدّة هذا الصراع، وهي: «النزاع، الأزمات غير العنيفة، والأزمات العنيفة، والحرب المحدودة، وأخيراً الحرب»[3]، وهذا وفقاً لمستوى العنف المستخدم خلال مراحل الصراع المختلفة والأدوات المستخدمة في تنفيذ هذا العنف (الأسلحة والأفراد)، وكذلك النتائج المترتبة على استخدام العنف (وجود ضحايا أو لاجئين أو حالات الدمار).

---

[1] _ عبد المالك خلف التميمي: صراع الأيديولوجيات في العالم العربي https://www.albayan.ae ، اطلع عليه في: 02\05\2021 على 13:30.

[2] _ عبد الله قرباع: الصراع الدولي The Concept Of International Conflict، الموسوعة السياسية، Https://political-encyclopedia.org ، اطلع عليه في 2021/05/23، 12:38.

[3] _ محمود صافي محمود محمد: إدارة الصراعات الداخلية خلال مرحلة التحول الديمقراطي (رؤية نظرية)، كلية السياسة والاقتصاد، جامعة السويس، مصر 2020م، ص177.

وغالباً ما «يرتبط مصطلح الصراع في العلوم السياسية، بالعنف، مثل الاضطرابات والإرهاب، والحرب والانقلاب، والثورة، لأن السياسة تحتوي دائماً على صراع جهات متنافسة، ينشأ عادة من الأحداث السياسية المختلفة حيث يبدأ الجدل بأمور مجردة وعامة، ثم يتقدم وينتقل إلى الصراع».[1]

فالصراع السياسي عبارة عن اختلافات في الآراء والأهداف، تؤدي إلى المنافسة والمعارضة بين عدد من الأفراد والجماعات أو المنظمات السياسية، كلٌّ منها يحاول الحصول على السلطة باستخدام القوة لتحقيق الأهداف والأديولوجيات.

4.3.2. الصراع الاجتماعي:

يشكل الصراع الاجتماعي موضوعاً قديماً وجديداً في آن واحد، فهو قديم لأنه ظهر بظهور الحياة الإنسانية الاجتماعية عبر مراحلها التاريخية، وجديد من حيث اكتسابه طابع الديمومة والاستقرار والتغيير.

أحرز موضوع الصراع الاجتماعي اهتماماً وافراً من المشتغلين بعلم الاجتماع، منهم العالم الألماني **رالف داهرندوف**، الذي يعرف الصراع الاجتماعي على أنه «حصيلة تلك العلاقات بين الأفراد، الذين يشتكون من اختلاف في الأحداث، إذ ينشب الصراع الاجتماعي نتيجة لغياب التوازن والانسجام والنظام في محيط اجتماعي معين»[2]، فالصراع الاجتماعي يحدث نتيجة الفوضى وعدم الانسجام في محيط اجتماعي معين، وفي حالات الاختلاف وعدم الرضا في العلاقات بين الأفراد.

[1] _ ينظر: أليفة الهدية: الصراع السياسي في رواية "الفارس الجميل" لعلي أحمد باكاثير على أساس نظرية موريس دوفيرجير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، مالانج، أندونيسيا 2020م، ص28-29.

[2] _غادة الحلايقة: مفهوم الصراع الاجتماعي، Https://www.mawdo3.com، أطلع عليه في 20/03/2021، 15:42.

كما يقرّ **رالف داهرندوف** بوجود بعدين في المجتمع، بعد الصراع وبعد التعاون، في قوله: «إن الصراع هو من إحدى قطاعات حياة وتنمية الإنسان، التي لها ألوان مختلفة، فالناس لها اختلاف في الأجناس، طبقات اجتماعية واقتصادية، أنظومة حكومية، أوطان، قبائل ديانات، ثقافات، وأهداف الحياة المختلفة»[1]، فكل هذه الاختلافات في شتى مجالات الحياة الاجتماعية، تشكل بيئة خصبة لنمو الصراع الاجتماعي بين أطرافه، وقد يكون هذا الصراع مؤقتاً كما قد يدوم طويلاً.

انقسم علماء الاجتماع في مسألة ما إذا كان الصراع الاجتماعي شيئاً عقلانياً، بنّاء أو شيئاً هداماً وغير منطقي، فالصراع الاجتماعي من منظور **كوزر** هو «نضال أو كفاح حول القيم، أو المطالب المتعلقة بالوضع أو المكانة، أو القوة، أو الموارد النادرة والتي يكون هدف الأطراف المتصارعة فيها ممتداً إلى تحييد أو إلحاق الضرر، أو إزالة المنافسين أو التخلص منهم، إضافة إلى كسب، وتحقيق القيم المرغوبة»[2]، **فكوزر** يتحيز لجانب سلبية الصراع الاجتماعي، فهو يرى أن هذا الأخير نادراً ما يشكل دوراً هاماً في تطور المجتمع على الرغم من أنه بحث وتنقيم عن القيم، فهو عنصر مدمر أكثر منه بناء إذ أن الأطراف المتضاربة تنتهج شتى الطرق في سبيل الوصول لمبتغاها، حتى وإن كان ذلك يعني إيذاء أو إزالة المنافسين، ومنه ينتقل صراع القيم إلى صراع عدواني يخلف أضراراً بكل الأطراف.

غير أن **جورج زميل** يخالفهُ الرأي فيقول:« النزاع يمكن أن يؤدي إلى تقوية الروابط والتضامن، خاصة إذا كان صراعاً مع جماعة أخرى، فتصبح الوحدة الوطنية مهمة في حالة الحرب، كما قد تؤدي الصراعات الداخلية إلى إعادة النظر في القيم السائدة وتعديلها بما ينسجم مع مصلحة الكل، فقد نبَّهت حركة السود في أمريكا، وما ينتج عنها من تغيير في القيم

[1] _ غادة الحلايقة: مفهوم الصراع الاجتماعي، Https://www.mawdo3.com، أطلع عليه في 20/03/2021، 15:42.

[2] _ منير محمد بدوي: مفهوم الصراع دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع، مجلة دراسات مستقبلية، ع3، جامعة أسيوط 1997، ص18.

والتشريعات إلى خطورة التحيز والتمييز العنصري»[1]، فالصراع لدى **جورج زميل** لا يحمل دائماً دلالة سلبية، وفي الحقيقة فالصراع يمكن أن يكون قوة للفرد أو للجماعة، كما يمكن أن يكون سبباً في تحقيق التكامل من خلال الانجذاب بينهم، ومن ثم اتحادهم، وقد ضرب مثالاً بحركة السود في أمريكاً التي غيرت من قيم المجتمع نحو الأفضل، وحدَّت من ظاهرة التمييز العنصري.

وقد حددت الدراسات الغربية لمختلف الأطوار والتخصصات، عوامل الصراع الاجتماعي من أهمها:[2]

_ الطبقة الاجتماعية: لكل طبقة ثقافتها الخاصة، ومصالح مشتركة تجمع أفرادها، وتحرص الطبقة الغنية على المحافظة على مصالحها، في حين تحاول الطبقات الأخرى تحسين أوضاعها.

_ الجماعات العرقية: لكل جماعة عرقية ثقافتها، وتحاول كل جماعة عرقية فرض ثقافتها على الأخرى، وعادة ما تعاني الأقليات العرقية من بعض التمييز العنصري والتفرقة العنصرية من المجتمع الكبير.

_ العامل الديني: هو عامل توحيد لأبناء المجتمع الواحد، فهو يخلق بينهم نوعاً من الهوية الدينية، إلا أن جهل بعض التفسيرات الدينية بالثقافات السائدة يدفعهم إلى التنافس، إذ يحاول كل فريق فرض معتقداته الدينية على الآخرين، هذا التعصب يدفع بالأفراد إلى الدخول في حروب مع الآخرين.

[1] _ أميرة نهاية منير عزيزة: الصراع الاجتماعي في رواية الأجنحة المنكسرة لجبران خليل جبران، دراسة أدبية اجتماعية في نظرية جورج زميل، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، 2018، ص686.

[2] _ الأزهر ضيف وجميلة زيدان: نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع20، جامعة الوادي، الجزائر، 2016، ص191-192.

_ العامل اللغوي: عادة ما يميل الأفراد إلى التعامل مع الأفراد الذين يتحدثون اللغة نفسها والاختلاف في اللسان، يؤدي إلى ضعف العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع.

_ العامل الاقتصادي: اختلاف المصالح الاقتصادية بين الدول يؤدي إلى التنافس والصراع بين المجتمعات، وتظهر الانقسامات بين الدول الغنية والدول الفقيرة.

_ العامل السياسي: هناك أفراد يملكون القوة، ولديهم القدرة على اتخاذ القرارات الهامة، وعادة ما يكون هناك تنافس بين صُنّاع القرار المهيمنين على السلطة، وبين أفراد المجتمع الذين ليس لهم سلطة حقيقة في النظام السياسي».

وعلى ضوء ما سبق، فالصراع الاجتماعي مُؤكِّدٌ لوجود عدم الانسجام وعدم الرضا بين مختلف الأفراد والفئات الاجتماعية، فالحياة الاجتماعية تولد بطبيعتها الصراع لكونها تتكون من جماعات ذات مصالح مختلفة ومتداخلة، والصراع الاجتماعي عملة ذات وجهان: سلبي وإيجابي، فقد يكون عامل هدم وتدمير يُنتج العداء والتعصب في سبيل إرضاء المصالح، وقد يكون عامل تنمية وبناء يساهم في فهم المجتمعات لبعضها البعض ومن ثم تطويرها وانسجامها.

3. مفهوم الرواية.

1.3. تعريف الرواية:

الرواية هي شكل من أشكال السرد، ومن أرقى أنواعه فهي أحداث خيالية تلبس مظهر الحقيقة وتقنع القارئ بواقعتيها، لقيت رواجا كبيرا في الأوساط الأدبية، عرفت بطولها الذي يميزها عن بقية الأجناس الأخرى، وليس من السهل إيجاد تعريف محدّد لها، فهي لم تستقر على شكل واحد، فقد اختلف مفهومها من أديب لآخر، وذلك راجع لاختلاف الحقب الزمنية وكذا الخلفيات الفكرية.

يعرفها **جورج لوكاتش** بأنّها «الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع البرجوازي...ففي الرّواية نرى التناقضات التي يتميز بها المجتمع البرجوازي، توجد مصورة بطريقة أكثر ملائمة وإفصاحا»[1]، فالرّواية في نظره هي تصوير للمجتمع الأوروبي، حيث كانت موجهة للطبقة الحاكمة وطبقة النبلاء.

ثم تطورت مضامين الرّواية وتنوعت لتشمل عدّة جوانب، فالرّواية عند **محمود تيمور** تلك «التي تسمى Roman ففيها يعالج المؤلف موضوعا كاملاً أو أكثر، زاخراً بحياة تامة واحدة أو أكثر، فلا يفرغ القارئ منها إلا وقد ألّم بحياة بطل أو الأبطال في مراحلها المختلفة وميدان الرّواية فسيحٌ أمام القاص، يستطيع فيه أن يكشف السّتار عن حياة أبطاله، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من وقت»[2]، فالدارس يشير إلى أنّ الرّواية يمكن أن تتطرق لأكثر من موضوع، وأنّ الكاتب له حرية التعبير والاسترسال في الأحداث غير مبال بإطنابه في الحديث؟ وذلك لجعل القارئ ملماً بجميع تفاصيل الرّواية.

ويأتي تعريف الباحث **عبد المالك مرتاض** للرواية متفقا مع سابقه، حين يعطي تعريفاً مبسطاً فيقول هي:« قصص نثري واقعي، كامل بذاته وذو طول معين، وشخصياتها ذات بناء واقعي مركب، تمتلك مصداقيتها في مشابهتها للبشر الحقيقيين، في أشكالهم وطبائعهم وأقوالهم وأفعالهم»[3]، ويضيف قائلاً في موضع آخر بأنّها« جنسٌ أدبيٌ راقي، ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل، تتلاحم فيما بينها وتتظافر، لتشكل لدى نهاية المطاف شكلاً أدبياً جميلاً»[4]، ومنه فالرّواية فنّ نثري، يعتمد سرد الأحداث، سواء كانت واقعية أو خيالية عند البعض، تنقل أفكاراً وثقافات وأيديولوجيات متنوعة، ممّا يجعلها متعددة الأنواع حسب

[1]_ جورج لوكاتش: نظرية الرّواية وتطورها، د ط، تر: نزيه الشرقي،1988م، ص15.

[2]_ محمود تيمور: دراسات في القصة والمسرح، د ط، المطبعة النموذجية، القاهرة، مصر، د ت، ص39.

[3]_عبد المالك مرتاض: في نظرية الرّواية، د ط، عالم المعرفة، الكويت، 1998م،ص22_23.

[4]_ المرجع نفسه، ص27.

مضمونها، فمنها الفلسفية والسياسية والتاريخية وغيرها إلا أنّ أكثرها انتشارا هي الرّواية المستوحاة من الواقع المُعاش، فالقارئ يبحث فيه عن صورة لذاته ولمحيطه.

فالرّواية في تعريفها المبسط هي جنس أدبي، يعبّر عنها بأسلوب النشر سرداً وحواراً، من خلال تصوير حياة مجموعة أفراد أو شخصيات، يتحركون ضمنَ إطار اجتماعي محدّد الزمان والمكان، ولها امتداد كمّي ومعيّن يحدّد كونها الرّواية.

2.3. نشأة الرواية الجزائرية:

إن نشأة الرّواية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطن العربي، حيث لها جذور عربية وإسلامية مشتركة، ولقد كان أول عمل في الأدب الجزائري ينحو نحواً روائياً هو « حكاية العشاق في الحُب والاشتياق، لصاحبه **محمد بن إبراهيم** سنة 1849م، تبعته محاولات أخرى في شكل رحلات ذات طابع قصصي، منها ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس سنوات 1852م، 1878 م، 1902م»[1]، إذ تعتبر رواية حكاية العُشاق في الحُب والاشتياق، حافلة بالمفردات الحضرية المستمدة من قصص ألف ليلة وليلة، غير أنّها تختلف عنها في اللّغة والأسلوب.

بعد ذلك ظهر إبداع جزائري آخر بعنوان غادة أم القرى لصاحبها **أحمد رضا حوحو** عام 1947م، يقول **أحمد مندور**: «وتكون غادة أم القرى إذ اختلفنا في كونِها رواية إرهاص للرّواية، وتكون رواية (الحريق) على ما فيها من نقائص فنّية، تطور طبيعي لهذا الفنّ وتكون (ريح الجنوب) النموذج الأفضل، ولكنّها لن تكون كذلك بالنسبة للتجارب التي ستأتي بعدها، حتى بالنسبة لكاتبها نفسه»[2]، فقد اعتبر **مندور** رواية غادة أم القرى عبارة عن إرهاص

[1] _ صالح مفقودة: نشأة الرّواية العربية في الجزائر (التأسيس والتأصيل)، مجلة المخبر، ع2، 2005م، ص12.

[2] _أحمد مندور: ملامح أدبية، دراسات في الرّواية الجزائرية، د ط، الساحل بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر 2008، ص17.

فقط لبداية الرّواية الجزائرية العربية، أما بالنسبة لـ (ريح الجنوب)، فقد صنّفها على أنّها النموذج الأفضل، لكن هذا لا يعني أنها ستكون مميزة على ما سيؤلف بعدها.

كما يبدي الدارس **عبد الله الركيبي** رأيه، فيما يخص بدايات الرّواية الجزائرية فيقول:« يمكن أن نلاحظ فيها بدايات ساذجة للرّواية العربية الجزائرية، سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفنّي، فهناك قصة مطولة بعض الشيء كتبها **رضا حوحو** سماها غادة أم القرى، ثمّ تلتها قصة كتبها **عبد المجيد الشافعي** أطلق عليها عنوان الطالب المنكوب، وهي ساذجة المضمون مثل طريقة التعبير فيها»[1]، فموقفه هذا من مستوى الرّواية الجزائرية في بوادرها الأولى، دليل على تأخر الأدب الجزائري وخاصة الفنّ الرّوائي في تلك الفترة.

لقد سبق وأن عرفنا أن مرحلة السبعينيات كانت المرحلة الفعلية لظهور رواية فنّية ناضجة «وذلك من خلال أعمال **عبد الحميد بن هدوقة** في (ريح الجنوب) و(مالا تذروه الرّياح) **لمحمد عرعار**، اللاز والزلزال **للطاهر وطار**، وبظهور هذه الأعمال أمكننا الحديث عن تجربة روائية جديدة متقدمة، إذ أن العقد الذي تلا الاستقلال مكّن الجزائر من الانفتاح الحر على اللغة العربية، وجعلهم يلوذون إلى الكتابة الرّوائية للتعبير عن تضاريس الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته، سواء أكان ذلك بالرجوع إلى فترة الثورة المسلحة أو الغوص في الحياة الجديدة، التي تجلت ملامحها من خلال التغيرات الجديدة التي طرأت على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية»[2] وإنّ من سمات الرّواية في هذه الفترة الشجاعة في الطرح والمغامرة الفنّية، وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد، الذي كان مناقضا للواقع السياسي الاستعماري قبل هذه الفترة، على اعتبار أنّ الكتابة فنّ لا يزدهر إلا في ظل الحرية والانفتاح، فالقمع والاضطهاد قد يدفع الكاتب إلى تبني مواقف ما لو أنّ الإطار السياسي كان مختلفا.

[1]_عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، د ط، المؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائر1983م، ص199-200.

[2]_إدريس بودبية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ط1، منشورات جامعة منتوري قسنطينة 2000م، ص50_51.

أما فيما يخص مرحلة الثمانينيات فقد كانت التجربة الرواية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال حيث « مثّل هذا الجيل اتجاهاً تجديدياً حديثاً في هذا النمط الأدبي الجزائري، ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر روايات **واسيني الأعرج** مثل وقع الأحذية الخشنة سنة 1981م، وأوجاع رجل غامر صوب البحر1983م، رواية نوار اللوز، كما كتب **الحبيب السائح** روايـة زمـن التّمــرد سنة 1985م، ومن الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضاً أعمال الروائي **جيلالي خلاص** رائحة الكلب 1985م، وقد أخرج **رشيد بوجدرة** عدة أعمال رواية نذكر من بينها رواية التفكك سنة 1982م ومعركة الزقاق سنة 1986م»[1]. كل هذه الأعمال الروائية ترمي إلى التجديد والخروج عن المألوف السردي، حيث شهد عقد الثمانينيات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكرياً وجمالياً بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والإدراك الضرورية لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري.

بعد الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية، والتي مست كل طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعرجاً آخر، عالج موضوع الأزمة وآثارها، فاتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية مداراً لها، منها تتولد أسئلة متنها الحكائي وفي أحضانها تتشكل مختلف عناصر سردها.

ومن الأعمـال التـي عكـست ذلك الـوضـع «الطـاهر وطـار وروايته الشمعة والدهاليز، وسيدة المقام لواسيني الأعرج، حيث كان الإرهاب ليس حديثاً عابراً في الرواية، ولا مجرد خبر يُقرأ أو يُصنع، بل إنه أحد مكونات المدينة الروائية، فهو عنصر حاضر فيها ولو كان كعنصر هدم لا كعنصر بناء، ولكنه لا يكتفي بتسجيل حضورها، وإنما يعطيها أيضاً بعدها التاريخي والأديولوجي والسياسي من غير أن يفرط فيما تقتضيه الكتابة الأدبية من خصوصية

[1]_بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ط1، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس 2005م، ص7.

فنية»[1]، حيث أن أدب المحنة أو العشرية السوداء لم يكن تاريخياً بقدر ما كان بوحاً صريحاً للخروج من اضطهاد الإرهاب.

وما نخلص إليه يكمن في أن الخطاب الروائي في الجزائر هو وليد الأفكار السياسية والوطنية، إذ واكبت الرواية الجزائرية جلّ التحولات السياسية في الجزائر في فترة السبعينيات وما تميزت به من مميزات مروراً بعقد الثمانينيات، وصولاً إلى عقد التسعينيات الذي كان حافلاً بمختلف التطورات والأحداث، خصوصاً في الميدانين الأمني والسياسي. أما المستوى الأدبي فقد تميز بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهو رواية المحنة أو الأزمة التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار أمثال **واسيني الأعرج** و**رشيد بوجدرة** و**الطاهر وطار**، وإلى جانب هؤلاء الكتاب المحترفين، نجد بعد الكتاب الجدد الذين كانت لهم تجربة معتبرة في هذا النمط من الرواية.

[1]_مخلوف عامر: أثر الإرهاب في الرواية، مجلة علم الفكر، م22، ع1، 1999م، ص304.

الفصل الثاني:

دلالات الصراع في رواية حطب سراييفو لسعيد خطيبي

1. نبذة عن الروائي سعيد خطيبي.
2. ملخص رواية حطب سراييفو.
3. دلالات الصراع في رواية حطب سراييفو.

1. الروائي سعيد خطيبي.

1.1. نبذة عن الروائي سعيد خطيبي: [1]

هو كاتب ومترجم وإعلامي جزائري، عبر من الصحافة إلى الرواية، من مواليد 29 ديسمبر 1984م في مدينة بوسعادة بالجزائر، درس في الجزائر وفرنسا، يكتب باللغتين العربية والفرنسية، حصل على ليسانس في الأدب الفرنسي من الجامعة الجزائرية، وماجستير في الدراسات الثقافية من جامعة السربون سنة 2011م، يعمل في الصحافة منذ سنة 2006م، عمِل في جريدة "الجزائريون" حيث كان يحرّر لسنتين الملحق الثقافي "الأثر"، ثم انتقل إلى جريدة الخبر. سافر إلى قطر وأشرف هناك لسنوات على إدارة تحرير مجلة "الدوحة" الثقافية، يقيم ويعمل حالياً في سلوفينيا.

[1]_سميرة إراتني: البوسعادي الذي عاش في سلوفينيا وتحصل على كتارا،https://www.sila-dz.com، اطلع عليه في 2021/05/18، 15:52.

1.2. النتاج الروائي:

- رواية "كتاب الخطايا" سنة 2013م.
- رواية "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل" سنة 2016م.
- رواية "حطب سراييفو" سنة 2018م.

1.3. نتاجات أخرى:

- "بعيداً عن النجمة" ترجمات شعرية لكاتب ياسين سنة 2009م.
- "مدار الغياب" ترجمات للقصة القصيرة الجزائرية باللغة الفرنسية سنة 2009م.
- "عبرت السماء حافياً" حوارات مع أشهر الروائيين باللغة الفرنسية سنة 2011م.
- "جنائن الشرق الملتهبة" كتاب رحلات دول البلقان سنة 2015م.

1.4. الجوائز المتحصل عليها:

- نال جائزة الصحافة العربية 2012م.
- نال جائزة ابن بطوطة لأدب الرحلة 2015م.
- نال جائزة كتارا للرواية العربية (فئة الروايات المنشورة) سنة 2017م عن رواية "أربعون عاماً في انتظار إيزابيل".

2. ملخص الرواية.

حطب سراييفو هي رواية الناجون من الحروب، والصراعات العرقية والدينية في يوغسلافيا سابقاً والعشرية السوداء إبان هيمنة المد الديني المتطرف في الجزائر، فهذه الرواية تتخذ من حرب البوسنة والهرسك والحرب الأهلية الجزائرية خلفية للأحداث والشخصيات في هذه الرواية التي نقلت إلينا بصوت **سليم دبكي** تارة و بصوت **إيفانا يوليتش** تارة أخرى.

يمهّد **سعيد خطيبي** للبطلين الرئيسيين في روايته قبل أن يشرع في الفصل الأول منها، فيعرفنا على **سليم** الصحافي الذي يعمل في صحيفة "الحر"، ويُكلّف من قِبل رئيس

التحرير بالذهاب إلى قرية "سيدي لبقع"، لتغطية حادث إرهابي راح ضحيتهُ ثلاثون شخصاً ذُبِحوا من الوريد إلى الوريد. كما نتعرف على **مليكة**، مدرسة اللغة الإنجليزية التي بلغت عقدها الثالث، وأحبت **سليم** من دون أن تطلب منه الزواج، وقد تلقت تهديداً من "نواطير الأرواح"، ولكنها لم تُعِره أي اهتمام. يتلقى **سليم** دعوة من عمّه **سي احمد** لزيارته في العاصمة السلوفينية "ليوبليانا" بعد أن اشترى فيها منزلاً جديداً.

أما التمهيد لـ **إيفانا** فينطلق من علاقتها بـ **غوران**، الشاب الذي هجرها، وسافر إلى "فرانكفورت"، قبل أن تعرفنا بأفراد أسرتها المكونة من والدها **أنتون**، وأمها "سلافينكا" وشقيقتها **آنا** التي فشِل الأطباء في علاج مرضها العقلي، إضافةً إلى شقيقها **ساشا** الذي هاجر هو الآخر إلى "ليوبليانا" بحثاً عن حياة آمنة كريمة. تحمل **إيفانا** في حقيبتها مخطوطة مسرحيتها التي تباطأت في إكمالها رغم أنها كانت تستعين بـ **بوريس**، الكاتب والصحافي المعروف الذي يساعدها في ترجمة المسرحية إلى الإنجليزية مقابل ما تمنحهُ من متعة عابرة.

تتكشف لنا أحداث الأسرتين معاً لنعرف بأن الرواية تدور حول الهويات المتشظية لمعظم شخصيات الرواية التي تمتد من **سليم** إلى أبويه، ومن **إيفانا** إلى أسرتها التي نجت من الحرب البوسنية، لكنها لم تسلم من تداعياتها الخطيرة. يسافر كلٌ من البطلين إلى "ليوبليانا"، بعد فقدان كلٍ منهما أحد الوالدين، فـ **سليم** فقد أمه بسبب مرض سرطان المعدة، و **إيفانا** فقدت والدها الذي لقي حتفه بسبب شظايا قذيفة. كانت **إيفانا** تحلم بأن تكون ممثلة أو كاتبة مسرحية، لكنها في واقع الحال لم تجد وظيفة أرقى من نادلة في مقهى أو منظفة في فندق. كان الناس ينعتون والدها باللقيط، الأمر الذي سبّب له أرقاً مزمناً، وكان يُعاقبها بين آونة وأخرى، ولا يجد حرجاً في قذفها ببذيء الكلام، لكنه لم يعترض على التحاقها بأكاديمية الفنون فهي مهووسة بالمسرح، وتكتب كلما وجدت متسعاً من الوقت بمساعدة **بوريس** الذي يبتزها مادياً وجسدياً.

تعتمد هذه الرواية على تقنية السرد الدائري، فليست هناك أنساق مستقيمة تتصاعد وفق الأحداث، فالروائي يعود بنا إلى الحرب العالمية الثانية، وإلى حرب التحرير في الجزائر في خمسينيات القرن الماضي، لكن الحاضر يهيمن على مدار الرواية، ويرصد الوقائع التي تحُفُّ بالبطلين **سليم** و **إيفانا**، وما يصادفانه من أحداث مفاجئة وغريبة فعند وصول **إيفانا** إلى "ليوبليانا" بدأت بالعمل في مقهى "تريغلاو" العائد لعم **سليم سي احمد**، والتقت بصديق طفولتها **أمير** صدفة وهو يقوم ببيع تماثيل مشعة، وبـ **غوران** حبيبها السابق الذي هاجر إلى "فرانكفورت" منذ زمن وهو الموظف السابق في نفس المقهى، الذي كان مالكه يبتز **إيفانا** جسدياً مقابل استمرارها في العمل، و بعد فترة تشاجرت معه حينما طالبت بمستحقات حبيبها **غوران**، ما أدى إلى طردها. أما **سي احمد** فالظاهر أن علاقته بزوجته **نادا** قد تدهورت منذ مدة، على الرغم من أنها أنجبت له ولدين هنا **سفيان** و**خالد**، لكنه كان يخونها مع نساء أخريات، أخرهن **إيفانا**. وبعد مدة أرادت الانتقام منه فأخبرت زوجته **نادا** بأنه يخونها معها، ومع كشف هذه الخيانة تنفتح حياة **سي احمد** مثل صندوق بندورا، حيث يستشيط غضباً ويذهب مسرعاً إلى مكان إقامة **إيفانا**، وأخذ يضربها بعنف رغم وجود **غوران**، الذي لم يتحمل وحشية **سي احمد** فطعنه بسكين ليسقط صريعاً أمام عيني **إيفانا**، وفر هارباً تاركاً إياها وحيدة.

يتم استجوابها من قبل الشرطة، وتمضي ليلة كاملة في السجن، لتخرج في اليوم الثاني حرة طليقة، فقد قُبض على الجاني **غوران** قرب محطة القطارات، وهو يحاول الهرب من "ليوبليانا". تدفن **نادا** زوجها **سي احمد** وفق الطريقة الإسلامية في مقبرة "جالي"، وهنا يعرف **سليم** بسر مدفون وهو أن عمه **سي احمد** هو في الحقيقة والده و **سفيان** و**خالد** هما شقيقاه وهو الخبر الذي يقع على أذنيه كالصاعقة، كما **سي احمد** كان مقرباً من مسؤولين بوسنيين في سنوات الحرب.

تعود **إيفانا** إلى "سراييفو" وهي محملة بخسائر كثيرة، لكنها لم تحزن على شيء أكثر من حزنها على **سليم**، الذي لم يفهم نظراتها إليه، ولعل حركة واحدة بسيطة منه كانت قادرة على تغيير مصيرها بالكامل، رغم ذلك فقد كانا يتبادلان الرسائل من حين لآخر. و قد تخلصت من مخطوطة مسرحيتها القديمة، وحملت معها مخطوطة مسرحيتها الجديدة بعنوان "حطب سراييفو" التي اقتبستها من فيلم "هيروشيما، حبّي"، وكان **سليم** بطلها، بعد أن زودها بطرد كامل عن سيرته الذاتية. ويعود **سليم** إلى الجزائر وتحوّل له **نادا** ثمن الشّقة التي أوصى بها والده إليه، فيشرع بتحقيق حلمه بتأسيس صحيفة "رادار"، يظهر فيها مانشيت لافت بعنوان "حطب سراييفو... الناجون من الطوفان في الجزائر والبلقان"، مذيّلاً بتوقيع **سليم دبكي** الذي يروي قصة الألم الذي يوحّدُ الناجين من الفضائع والحروب الوحشية في كل مكان.

3. دلالات الصراع في رواية حطب سراييفو.

3.1. دلالة الصراع الاجتماعي:

ترتبط الرواية بالبيئة التي أنتجتها، وهي مرآة عاكسة للواقع المعيش، تجسد ما يعيشه المجتمع من صراعات ومظاهر اجتماعية. فالصراع الاجتماعي هو القائم بين أفراد المجتمع الواحد أو بين مجتمعين أو أكثر، بسبب اختلاف الأجناس أو الطبقات الاجتماعية أو تباين الديانات والثقافات، أو أهداف الحياة المختلفة.

وفي رواية "حطب سراييفو" يبرز الصراع الاجتماعي في وصف الكاتب للحالة الاجتماعية للشعب الجزائري، والتفكير السائد لديه، عن طريق الشارع الجزائري. يقول الكاتب على لسان بطل الرواية: «... وطلب مني السائق أن أدفع، قبل أن أركب؛ فهنا، لا أحد يثق في الآخر. تفحّص الدنانير التي سلّمته إياها، دسّها في جيب سترته العلوي، ثم انطلق، وهو يثرثر مع راكبين آخرين، في غلاء المعيشة، تدنّي الرّواتب وارتفاع سعر العملات

الأجنبية»[1]، فالصراع الاجتماعي داخل المجتمع الجزائري، هو دليل على انعدام الثقة والأمان، وغلاء المعيشة وتدنّي الرواتب في ظل العشرية السوداء، بسبب الصراع القائم بين الجبهة الإسلامية للإنقاذ وبين الجيش الجزائري، فأصبح الخوف يسود شوارع وأزقة الجزائر. كما كان حال الدول المغلوبة على أمرها تحت وطأة الاستعمار أو الحرب الأهلية، مثل الحرب البوسنية، التي دامت أربع سنوات بسبب انهيار جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية، و حرب الفيتنام التي لازال أهلها يعانون من مخلفات الاستعمار ليومنا هذا.

وفي مثال آخر، يظهر الصراع الاجتماعي من خلال التمييز العنصري، الذي شهده بطل الرواية **سليم** من طرف نادلة في "سلوفينيا"، التي أخبرته: «لا أحب السّود، خاطبتني نادلة ثلاثينية، بإنجليزية هجينة،... مع أنني في الجزائر أُنعتُ بالأبيض، وأحياناً "الرّوجي"،... لكن أمام بياض سلوفينيا السّاحق، لست سوى أسود، في نظرها، أو أسمر، في أفضل الحالات، وأجنبي دائماً»[2]، وهذا الصراع العرقي دليل على ممارسة العنصرية من طرف السلوفينيين ضد الأجانب عامة والسود خاصة، فالعنصرية هي ظاهرة متفشية في مختلف دول العالم، وتحتل الهند وإيران المراتب الأولى، غير أن «سلوفينيا احتلت المرتبة الأولى من الدول ذات النسبة الأقل من العنصرية».[3]

كما يظهر تفاوت في المستوى المعيشي داخل المجتمع الجزائري، من متدني إلى عالي بين الشعب البسيط و أصحاب السلطة، فالبطل **سليم** رغم أنه ذو عمل محترم (صحفي وإعلامي)، إلا انه يعاني من سوء المعيشة فيقول: «كالعادة، الماء انقطع»[4]، ويقول أيضاً:

---

[1] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ط2، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، لبنان/الجزائر 2019م، ص09.

[2] _المصدر نفسه، ص97.

[3] _ ينظر: مكرم محمد أحمد: التمييز العنصري يتصاعد في أوروبا، https://www.albayan.ae، اطلع عليه في 2021/05/20، 10:08.

[4] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص09.

«استحممت بسطل، وتركت الآخر لوقت الحاجة. مضغت نصف باغيت الخبز مع مثلثي الجبن»[1]، وهو دليل على انخفاض الحد الأدنى للرواتب للعمال، الذي شمل طبقة النخبة المثقفين أيضاً، ويضيف قائلاً: «بن عكنون حي تسكنه شخصيات سياسية مرموقة، وتوجد به مقرات مؤسسات رسمية، من الطّبيعي أن لا تُقطع عنه الكهرباء ولا سّيما في هذا اليوم الاستثنائي، أما الحي الذي أسكن فيه فهو حي شعبي، لا يقيم فيه سوى الفقراء البسطاء المغلوبين على أمرهم، الذين لا يفكرون سوى في الآخرة بعدما خانتهم مباهج الدنيا»[2]، فنلاحظ التفاوت الاجتماعي بين طبقات المجتمع، من خلال الصراع القائم بين رجال السياسية و البسطاء من المجتمع، وهو دليل على تدهور الأوضاع الاقتصادية ثم الاجتماعية وهو ما أدى بالشعب المغلوب على أمره بالهلاك والاستسلام لوضعه، بينما كانت الأفضلية لرجال السياسية.

أما **إيفانا** فكانت هي الأخرى تعاني نفس الحالة المعيشية المزرية، فتروي مستحضرة ماضيها: «أذكر أنني لم أملك أكثر من الأساسيات؛ زوج أحذية عادية للشتاء، وزوج ستارتاز لأيام الصيف،... ولا أكثر من قميصين صيفيين ومعطف شتوي واحد وحقيبة مدرسية واحدة اهترأت من كثرة الاستعمال»[3]، أما حاضرها فهو سواء، إذ تقول: "ما أجنيه من عملي البسيط كنادلة بالكاد يكفيني لقضاء شهر في هذه المدينة المتطلبة، التي كلّما تقدمت في العمر ازدادت غلاءً،... الشيء الوحيد الذي ورثته عن أبي هو حاجتي الدائمة للمال»[4]، فالحرب البوسنية خلفت دماراً مسّ مختلف الأصعدة، خاصة الاقتصادية منها، ما نتج عنه صراع اجتماعي شمِل أبسط متطلبات المواطن من غلاء الأسعار وغيرها، وهو ما كان سائداً في الأوساط الاجتماعية في سراييفو بعد الحرب الأهلية.

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص19.

[2] _ المرجع نفسه، ص48.

[3] _المصدر نفسه، ص38.

[4] _المصدر نفسه، 37.

بالإضافة إلى الصراع الطائفي، الذي كان قائماً في يوغسلافيا، «جيراننا في الحي من أصول صربية أو كرواتية أو مسلمة، وبعض منهم من زيجات مختلطة، ففي زمن مضى، اشتركنا جميعاً في اسم واحد: يوغسلافيون وكفى. وُلدنا إخوة، ثم قسمونا إلى حفنة أسماء، إلى طوائف وجماعات. اعتقد أنه صار لا يوجد لا صربي ولا كرواتي ولا بوسني، في هذا البلد: يوجد فقط صديق أو عدو»[1]، فرغم اختلاط الأجناس من صرب وكروات ومسلمين...، إلا أنهم تأقلموا بالعيش كإخوة تحت اسم "يوغسلافيون"، الذين حاولوا النأي عن الصراعات والحروب، غير أنهم وجدوا أنفسهم وسط الحرب البوسنية التي فصلت بين الديانات والثقافات والأعراق المختلفة، فيقول **الروائي** على لسان **إيفانا:** «كانوا يسخرون منها، في السّر، ويقولون أنها "بالْيا"، أي مسلمة وليست بوسنية مكتملة. وكل واحد ينظر إلى الآخر على أنه أجنبي»[2]، حيث قام الصّرب البوسنيون المسلحون، «بحصار مدينة سراييفو عام 1992م، واستهدفوا بشكل أساسي المسلمين، بما سمّوهُ بـ "التطهير العرقي"، لكنهم قتلوا العديد من الصرب والكروات البوسنيين الآخرين»[3]، الأمر الذي أشعل فتيل الحرب الأهلية طيلة الثلاث سنوات والنصف.

ومن جهة أخرى، لم يسلم حبيب **إيفانا غوران** من تداعيات الحرب في "سراييفو"، ففرّ هارباً إلى "فرانكفورت"، آملاً في مستقبل واعد وحياة هنيئة. لكن المصير يقابله بوجه آخر عكس ما كان يتوقعهُ، ما جعله يعيش حياة لاجئ من "سبْليت" إلى "النمسا" إلى "فرانكفورت" في "ألمانيا"، ثم إلى "ليوبليانا" آخر محطة له، حيث قابل **إيفانا** وأخذ يسرد لها معاناته من الصراع الاجتماعي من محطته الأولى (سبْليت)، فيقول: «أقمت أسبوعاً، في قاعة رياضية مغطاة، مع

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص75.

[2] _المصدر نفسه، ص76.

[3] _ينظر: عاصم علي: أكثر الحروب الأهلية التي شهدتها البشرية دموية... ستبقى وصمة خزي في التاريخ، Https://www.dakhlak.com//، اطلع عليه في 2021/05/23م، 17:21.

عائلات اللاجئين. كنّا نفترش الأرض، نأكل رغيفاً من الخبز ونشرب ماءً، لا أكثر، ولا ننام ليلاً، بسبب بكاء وصراخ الرّضع، الذين لم تـجد أمـهاتهم حلـيباً لهم لإسكاتهم، ونقضي حاجاتنا، أسفل حيطان، وفي زوايا معتمة، كما لو أننا حيوانات برية، فالـروائح الـكريهة طوّقتنا، من كل مكان، ونــحن نـحاول تناسيها، بالتّفكير في مصائر ألطف قد نجدها، حين نصل إلى منافينا»[1]، وهو الأمر الذي حدث حقيقة، فمن بين «اللاجئين في شمال غرب البوسنة والهرسك الذين حاولوا الوصول إلى كرواتيا، ثم إلى تراب الاتحاد الأوروبي، يتحدثون عن عنف وإهانات وأموال مسروقة وهواتف مكسرة. كما مُنعوا من تقديم طلبات اللجوء»[2]. بالإضافة إلى أنهم أُجبروا على ما يبدو من طرف رجال الشرطة على السير عبر الغابات في المنطقة الحدودية للعودة إلى البوسنة.

وعند وصوله إلى "فرانكفورت"، لم يكن الوضع أفضل من سابقيه، فقد عانى من خيانة رفقائه في الغرفة، «لم أجد عملاً في "فرانكفورت"، ثم طُردت من الغرفة، التي تقاسمتها مع بوسنيين آخرين. لفّقوا لي تهمة سرقة أموال وأنا بريء منها»[3]. وهنا انكسرت آماله بالحصول على عمل محترم وحياة آمنة، فانتقل إلى "ليوبليانا" ليعايش صراعاً اجتماعياً آخر«جئت إلى ليوبليانا، سكنت حجرة ضيقة، عملت في مزارع البطاطا والذرة، ثم صرت نادلاً، قبل عام، في مقهى يديره رجل عربي. تشاجرت معه ووجدتني أعمل في إسطبل خيول»[4]. وهذا ما يعيشه أغلب المهاجرين حول العالم، مِمّن يأملون بعيش حياة كريمة في الغربة، إلا أنهم يُصدمون بواقع مرير وحياة لا إنسانية، فيـبيـتون في العراء ويـعانون من سـوء التغذية ومشاكل

[1] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص171.

[2] _ينظر:أمير بوريتش: كرواتيا... عنف ممنهج ضد اللاجئين، https://www.dw.com/ar/، اطلع عليه في 2021/05/23م، 22:53.

[3] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص169-170.

[4] _ المصدر نفسه، ص170.

اجتماعية، على غرار من يتمّ احتجازهم في نظام يسوده الموت واليأس، ومن يلْقون حتفهم في طريقهم إلى منفاهم الذي ظنّوه منجاهم.

والظاهر أن بطلا الرواية **سليم** و **إيفانا**، بجانب معاناتهما من الصراع الاجتماعي في الشارع والعمل، لم يكن البيت في منأى عن ذلك. فقد عانت الأسرتين من نفس الوضع الاجتماعي داخل البيت، من عنف أسري من طرف الأب، فـ **سليم** عاش حياة قاسية وهو يشهد تعنيف والده لوالدته، التي «قضت حياتها مذلولة، فوالدي مارس عليها سلطته وقمعه، وفرض عليها، إلى آخر أيامها، منطقه العسكري، الذي تربى عليه. أشك في أنه أحبّها، بل فقط عطف عليها... أحكم الخناق عليها، عاملها كمعاملة راعٍ للغنم، لم أره قط يداعبها أو يبتسم لها. كان صارما معها، وهي تابعة له. ويوم ماتت دمعت عيناه وحزن لأجلها. حُزن فقدان جندي مطيع له»[1]، فوالده **الحاج ابراهيم** شارك في ثورة التحرير، وكان رقيباً أول في الجيش، فقد مارس سلطته على زوجته، فلم يعاملها كزوج محب وعطوف، بل كقائد يتسلط على جنديّه المخلص. ويبدو أن مصير هذه المرأة مشؤوم، فكُتب عليها الشقاء منذ صغرها. والدها هو الآخر، كان يعنفها ويكبل حريتها، فيقول **سليم:** «جدّي الحاج لخضر، الذي لم ينجب سوى بنات، كان يحصر حركتها بين المطبخ وغرفة النوم، وزوّجها في السابعة عشر من عمرها»[2]. و **إيفانا** هي الأخرى، عانت من العنف الأسري، فقد كان والدها **أنتون** يعنّف والدتها "سلافينكا" أمام مرآها، بعد أن يعود للبيت ليلا وهو ثمل، فتقول **إيفانا:** «لم يُبال بنا، لا أنا ولا أمي ولا شقيقي أو شقيقتي. كان يعود إلى البيت مترنحاً، ليكمل طقوس عربدته على جسد أمي، مخلّفاً لها كدماتٍ، غير مشفقٍ على حالها ودموعها وتوسلاتها إليه»[3]، فإلى جانب تعذيبه لزوجته نفسياً وجسدياً، كان غير مسؤول البتّة عن أبنائه ولا يسدُّ أبسط حاجياتهم، «ينفق ماله على نساء

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص143.

[2] _المصدر نفسه، ص143.

[3] المصدر نفسه، ص150.

بغيضات، ويمتنّع عن صرفها عن نفسه أو عمّن يحّب»[1]، رغم ذلك، كانت الزوجة تتحمل كل ذلك لكي لا تؤول الأمور إلى تفكك أسرتها، وهي تمثل نموذج المرأة الصامدة الصبورة، ففي موقف آخر، تسرد **إيفانا** مشهداً، تجاوز فيه والدها أقصى درجات الحقارة فقد «كسر صحناً على رأس أمي، التي أحست بخطورة الحال، فقامت بإخفائي، في خزانة، أغلقت عليّ بابها. أسرف في ضربها، كما لو كان بينهما ثأر دفين، وتدخّل الجيران لإنقاذها. نصحوها بطلب الطلاق منه، لكنها جَبُنَت وتجاوزت تلك الواقعة، كما لو أن شيئاً لم يحدث»[2]، وهذا دليل على أن المجتمع البوسني مجتمع ذكوري بالدرجة الأولى، وكذلك الجزائري. هذه الظاهرة (الإساءة الزوجية أو الأسرية)، لم تكُن حكراً على هاذين البلدين فقط، بل اجتاحت العالم أجمع، «فحسب منظمة الصحة العالمية، تتعرض واحدة من ثلاث نساء في العالم، أي ما يقارب 736 مليون امرأة، لعنف جسدي أو جنسي في حياتهن»[3].

لطالما كانت المرأة منزوعة الحرية والأمن، تعاني من نظرة المجتمع إليها فباتت تتخبط في صراع اجتماعي لا نهاية له. فالمرأة عند الغرب، ولم تزل عند العرب، آلة نسل أو وعاء تفريغ لعُقد الرجل. فـ **إيفانا** بطلة الرواية، تخلّت عن وطنها وأهلها، بسبب ويلات الحرب وكذا الاستغلال والاضطهاد الذي مورس عليها من طرف **بوريس** الصحفي الذي استعانت به **إيفانا** في كتابة مسرحيتها في "سراييفو"، فاستغلها جسدياً ومادياً، فتقول: «بوريس طلب مني أن أقرضه مالاً، لحاجة تخصه. فهو لا يقدم خدمة دون مقابل. يسلبني في جسدي و يريد خطف ما في جيبي»[4]، لتلاقي نفس المصير في "ليوبليانا"، حيث استغلها ربُّ عملها **سي احمد** هو الآخر، لإشباع رغباته الجنسية مقابل العمل لديه، فـ «منذ بوريس لم يمسسني رجل سواه.

---

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص172.

[2] _المصدر نفسه، ص151.

[3] _ ميغا موهان: العنف ضد المرأة: منظمة الصحة العالمية تقول إن ثلث نساء العالم يعانين، https://bbc.com/، اطلع عليه في 2021/05/24م، 21:00.

[4] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص37.

استسلمت له عن جُبن وخوف من فُقد دخلي الوحيد... خضعتُ، في لحظات ضعف، لذلك الأعرج، ومنحته لذات عابرة،... ولم أتخيّل أن يستخدم ضُعفي سلاحاً ضدّي»[1]، وهذا إن كان يدلّ على شيء، إنما يدلُّ على نظرة الرجل الدونية والشهوانية للمرأة، فهو يراها مجرد جسد لإشباع رغباته ونزواته، فما بالك بمهاجرة مغتربة هاربة من الحرب والدم، باحثة عن الأمان والحياة، فيستغل الرجل نقاط ضعفها وصراعها الاجتماعي داخل المجتمع، كبحثها عن العمل والسكن، وشعورها بالوحدة والعزلة داخل بيئة غريبة عنها، القوي فيها يأكل الضعيف.

بطلتنا إيفانا، التي هاجرت من "سراييفو" إلى "ليوبليانا" بحثاً عن حياة كريمة، فوجئت بالحياة الصعبة التي يعيشها حبيبها **غوران** داخل تلك المدينة التي يُقال أنها مسالمة، وصراعه المتواصل من أجل الحصول على عمل، فقد طُرد من مقهى **سي احمد** ظُلماً بسبب فتنة لا أساس لها من الصحة. فعند ذهاب **إيفانا** لاسترجاع حقّ **غوران** و أخذ مستحقاتها من ربّ عملها، تعرضت للإهانة والشتم والضرب، «أردت فقط أن أسترد حقّ غوران، ويدفع لي ما تبقى من مستحقاتي، وأنصرف بأمان. لكنه عاند، سخر مني، ووصفني بـ "براسيتسا"، الفاجرة. بقيت أنظر إليه، أسمع كلماته دون أن أرد، إلى أن نطق كلمة "عاهرة"، ببوسنية عامية، فوجدتني أشتمه وأضربه بكأس، وأتلقى صفعة وبصقة منه، ثم أركض كمعتوهة في الشارع»[2]، فاستعلاؤه وتسـلطه علـيها وكـذا حقـارته، دليل على الصراع الطبقي القائم بين ربّ العمل والعامل الذليل، كما يظهر العنف جليّاً ضد المرأة التي لا سند لها.

لم يكتفِ **سي احمد** بإهانة **إيفانا** وتحطيمها، بل وأيضاً أراد الانتقام منها، بدخوله كثورٍ هائج إلى شقتها، ليقوم بتعنيفها، الأمر الذي جعل **غوران** يتدخل لا إرادياً بطعنه ليسقط صريعاً أمامهما. «فتح الباب، دون أن يسأل من الطارق، ليرتفع صوت ذلك العربي الأعرج، كخنزير

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص182-183.

[2] _ المصدر نفسه، ص182.

ثائر... لم يترك لي وقتاً للدفاع عن نفسي. ولا مكان لي لأهرب إليه. أمسكني من شعري، وضرب وجهي بقوة، على الخزانة. اعتقدّت أنه سيغمى عليّ، وأنا أصرخ، وأستنجد بغوران... ثم ابتلعه صمت كثيف. توقف عن خنقي وهمد. رأيت وجه غوران محمراً، عرق يتصبب منه، وهو يشهق بصعوبة... لقد طعنه، على جانبه الأيمن»[1]، فما تكاد **إيفانا** تخرج من صراع، لتدخل في آخر، فقد وجدت نفسها مشتبهاً بها في هذه الجريمة بعد هروب **غوران** وتركه إياها وحيدة. «لم أشعر بأنني وقعت في جريمة إلا بعد رؤيتي للشرطة وفقدي التحكم في يداي»[2]. وكل هذه المشاق دليل على الحياة الصعبة التي يعانيها اللاجئون حول العالم في المنفى، من ظلم وإهانة وقهر، فمهما وُصفت الغربة بالسلم والأمن وحب الآخر، فلا وطن يضمك ويحميك ويحّن عليك، غير وطنك، «فرغم كل الشقاء الذي عرفته في سراييفو؛ فإنها لم تبخل علي يوماً بفراش أنام عليه، بدل التمدد على أرضية إسمنتية»[3]، فلابد للإنسان أن يبحث عن الطمأنينة والسلام داخل وطنه لا في بلاد الغير، التي ينتصب حُكامها على المنصة منادين بالحرية والأمن وحقوق الإنسان، أما واقعها فشيء آخر.

إذاً فـ "الجزائر" و"سلوفينيا" و"البوسنة والهرسك"، هي مجتمعات تعاني من الصراع الاجتماعي من بؤس وتشرد وحرمان وعنف وطبقية، وهي مجتمعات سوداوية خانقة متشابهة رغم تباعدها الجغرافي، فجوّ الموت يجمعُ بينها لتعاني شخصياتها من مخلّفات الحرب الأهلية، حيث عقد **خطيبي** من خلال توظيفه للصراع الاجتماعي، مقاربة غير متوقعة بين المجتمعات العربية المتمثلة في "الجزائر" والمجتمعات الأوروبية المتمثلة في "سلوفينيا" و"البوسنة والهرسك"، ففي هذه الأماكن كلّها هيمنة ذكورية ومصائر أنثوية قاتمة وعلاقات بين النساء والرجال قائمة على كفتين غير متعادلتين من الاستغلال والاستبداد الذكوري. بالإضافة

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، 207-208.

[2] _المصدر نفسه، ص209.

[3] _المصدر نفسه، ص219.

إلى ما تـعانـيه هذه المـجـتمعات من صراعات طبقيــة بين رجال السلطة والبسطاء من الشعب، ومن عنصرية ضد السود والأجانب.

3.2. دلالة الصراع النفسي:

باعتبار أن الإنسان بطبيعته يمكن أن يعيش أشكالاً متعددة من الصراع؛ فهو من الأمور الطبيعية والسويّة، وهو كل نشاط مادي أو ذهني الغرض منه تغيير حالة ما أو الدّفاع عن بقاء حالة ما. فالصراع النفسي يتعلق بالمزاج، والميول، والرغبات المعنوية منها والمادية، وما في الإنسان من نقص يُؤثر عليه اجتماعياً، فلا يوجد سلوك للإنسان بدون تبرير في علم النفس.

يظهر هذا النوع من الصراع في الرواية داخل نفسية الشخصية الروائية أو خارجها، من خلال الحوار الداخلي حيناً، هذا الأخير يُعتبر عنصراً فعالاً في رفع الحجاب عن عواطف الشخصية، والحوار الخارجي مع الشخصيات حيناً أخر، وهذا من شأنه أن يكشف الاحتدامات بين مختلف الأطراف في الرواية.

إنَّ القارئ لرواية "حطب سراييفو"، سيلاحظ تشبّعها بالصراعات النفسية داخل الشخصيات، فنجد البطل الصحفي والإعلامي **سليم**، يعاني من هواجس نفسية كثيرة نتيجة الوضع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه تحت وطأة الحرب الأهلية في الجزائر، يعاني الوحدة و يخالجه شعور الهجرة، يتخبط في صراع نفسي طيلة مسيرته في الرواية. وبحكم واقعه المعيش، فلا يمرّ يوم دون سماع أخبار دموية من مجازر واغتيالات ومذابح، فيقول في مستهل الرواية عند تشغيله للراديو: «... وشرع في تلاوة أخبار الدم، وعدّ ضحايا حرب لم نتفق على اسم لها،... تحـدّث عن الموت بكلمات مختصرة كما لو أنه مرغم على قراءة أخبار الراحلين»[1]، وأردف: «الموت صار طقساً»[1]، وهذا ما زرع الخوف في نفوس المواطنين وحرمهم

[1] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص12.

من أبسط حقوقهم كالخروج بحرية. ويبدو أن **سليم** يهرب من واقعه الدموي ويحاول تناسيه، غير أن حياته القاسية تدفعه للموت عنوة، فيعيش صراعاً نفسياً داخلياً بين رغبته في الاستسلام لمصيره (الموت)، أو النهوض ومجابهة الواقع المأساوي ومحاولة النجاة من المصير المحتوم، فيقول: «بما أن الموت قدرنا، قررت أن أتناساه، لكن حياتي المتأزمة لا تدفعني للأمام بقدر ما تذكّرني بالموت»[2]. وبحكم عمله كصحفي، فهو يتقصّى أخبار الحرب ومخلفاتها، كما حدث عندما كُلّف بالذهاب إلى "سيدي لبقع" لتدوين شهادات الناجين من مجزرة هجوم مسلّح، فيبدو أن ماضيه يأبى أن يفارقه، ويفرضُ وجوده في حاضره، «... هجم مسلحون على سيدي لبقع،... ذبحوا البالغين كما يُذبح الدجاج، وقسموا جثث أطفال نصفين طولياً...، لماذا ما زِلت أتذكر الفضائع التي حصلت؟ ألم أُلزم نفسي بتناسيها؟»[3]، وهذا ما كان سائداً في الفترة ما بين 1992-1999م (العشرية السوداء)، حيث قُتِل 15 ألف شخص على الأقل أو فقدوا... أثناء النزاع المسلح، كانت الجماعات الإسلامية المسلحة تهاجم السكان المدنيين على نحو همجي باستخدام أساليب إرهابية، بما في ذلك من عمليات الاختطاف، والاغتيالات المستهدفة، والمذابح، والتفجيرات في الأماكن العامّة[4]، فقد كان الموت يترقب المواطنين في كل مكان، فأصبح **سليم** شخصاً انطوائياً على نفسه «في الحقيقة، أتجنّب الذهاب للأمكنة التي يتجمّع فيها الناس، لا أذهب للأسواق ولا للمساجد ولا للأعراس. خوفي من أيّ تفجير قد يحدث في أي لحظة، ولّد عني فوبيا من الحشود»[5]، وهذا دليل على صراعه النفسي الذي يحيكُ له أسوأ سيناريوهات قد تحدث له في أي تجمع، ما ولّد لديه فوبيا من الأماكن المزدحمة. كما أنّ هذا

---

[1] _ المصدر نفسه، ص12.

[2] _المصدر نفسه، ص13.

[3] _المصدر نفسه، ص13

[4] _ ينظر: ياكين إيرتورك: تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان، المدنية، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما في ذلك الحق في التنمية، مجلس حقوق الإنسان، الدورة السابعة، البند 3 من جدول الأعمال، الجمعية العامة للأمم المتحدة 2008م، ص21.

[5] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص34.

الخوف تسلّل لزميله **فتحي**، الذي يعيش هو الآخر صراعاً نفسياً بين إكمال حلمه كصحفي أو هجره خوفاً من الموت غدراً، «وأكثر من مرّة، أخبرني عن نيته في العودة إليها، وهجر الصحافة والتخلّي عن مشاريعه الكتابية، والاكتفاء بعمل بسيط،... كي لا يلاقي مصيراً مشابهاً لمصير كتاب وصحافيين ماتوا غدراً، لكنّه يتراجع عن ذلك، ويبعث رغبته في مواصلة العيش هنا، بجوار الموتى والأحياء المحتضرين»[1]، ففي تلك الفترة، دخلت الجزائر في موجة طويلة من قتل الصحافيين والثقافين، الذين ضحوا بحياتهم لمعارضتهم الإرهاب، وكان أول صحافي وروائي يسقط صريعاً بالرصاص، هو "الطاهر جاووت"، بسبب كتاباته التنويرية واللاذعة والمنتقدة للسلطة وللإسلاميّين في الوقت نفسه، ومن أشهر عباراته «إذا صمتَّ فإنك ستموت، وإذا تكلمتَ ستموت، إذاً، قُلْ كلمتك ومُتْ»[2]. وهذا دليل على الجو المشحون بالخطر حول الصحافيين والمثقفين الذي حاولوا توعية الشّعب بالوضع الراهن آنذاك، وبطبيعة الحال؛ فكل تلك الظروف القاسية كانت سبباً في تخبط هؤلاء النخبة في صراع نفسي. والمعروف أنّ كلّ منظمة سياسية تفرض إيديولوجياتها، تقف الصحافة والإعلام لها بالمرصاد، فتسعى تلك المنظمات إلى قمع الصحفيين وإسكاتهم لما لهم من دور فعال في التحكم في الرأي العام للشعب.

وإلى جانب ما كان يعانيه **سليم** كصحفي من خوف من أي اغتيال مفاجئ عند خروجه أو تجمّعه، لم يكن منزله يقيه من الصراعات النفسية، فقد سرق المرض والدة **سليم** وأُصيب والدهُ **الحاج إبراهيم** بالزهايمر، «والدي يضيع مني وأنا غير قادر على الإمساك به...، شعرت أنني بدأت أفقد والدي، بعدما فقدت أمي، التي خطفها سرطان المعدة»[3]، وهذا ما أرّق سليم

[1] _ المصدر نفسه، ص34.

[2] _ينظر: جازية سليماني: إحياء ذكرى الصحافيين ضحايا "العشرية السوداء"، https://alaraby.co.uk، اطلع عليه في 2021/05/30م، 14:23.

[3] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص29.

بالتفكير في مصير والده، وجعله يعيش صراعاً نفسياً داخلياً لكثرة تفكيره وخوفه من فقدان والده هو الآخر، «هل سأفقد أبي أيضاً ويتداعى السقف الذي يظلّلني؟ ألحّ عليّ السؤال»[1]. فلم يجد **سليم** حضناً يحتويه، غير حضن حبيبته **مليكة** التي تكبرهُ بخمس سنوات، فهي ملاذه الوحيد الذي يريحه من عذابه النفسي، «شعرت بدمي يغلي، واحتجتُ أن أتصل بمليكة، أن أسمع صوتها الرّخيم... كلماتها تخرج من بين شفتيها كلحن عذب،... أو أنتظر زيارتي لها في شقتها»[2]، فشدّة تسمكّه بها دليل على حاجته لحضن دافئ يحتويه، فـ **مليكة** تمثّل صورتين في حياة **سليم**، فهي تارة الأم الحنون العطوف التي تنصحه وتوبخه وتملأ فراغ أمّه، وتارة أخرى ينظر إليها نظرة رجل لمرأة ناضجة، تسدُّ حاجته الجنسية وتُضفي دفئاً على حياته الباردة.

بعد هجرة **سليم** من "الجزائر" إلى "ليوبليانا"، وانتقاله للعيش مع عمّه **سي احمد** وزوجته **نادا** وطفليه **سفيان** و**خالد**، عاش أياماً هادئة إلى حدّ ما. مع توالي الأحداث في الرواية، يُقتل عمُّه على حين غرّة، فيُصدم بحقيقة أن عمّه هو والده البيولوجي، وأن **الحاج إبراهيم** هو عمّه، فيقول من هول الصدمة: «حياتي كلّها كانت خدعة. سي أحمد هو والدي، ومن اعتقدت أنه والدي لم يكن سوى عمّي. خرجت عن طوري وراحت شفتاي ترتعشان، كما لو أن شحنة كهربائية مسّتني، ولا رغبة لي سوى في الصّراخ... العواء... التأوه... النّواح... وفي ركل كل الأشياء، التّي أراها في طريقي»[3]، فدخل صراعاً نفسياً حادّاً جرّاء تلقيه لهذا الخبر، فتزعزع كيانه وتبعثرت ثقته في نفسه، وأصبح يستصغر ذاته وينعت نفسه باللّقيط لأن والده تخلّى عنه لعمّه وهو رضيع، بعدما قتل زوجته **الزهرة** متحجّجاً بانتحارها خشية العار. فطمح بحياة أخرى خارج البلاد، فهاجر إلى "ليوبليانا"، وهو دليل على انعدام الضمير والمسؤولية اتجاه عائلته.

[1] _المصدر نفسه، ص36.

[2] _ المصدر نفسه، ص14.

[3] _المصدر نفسه، ص232.

ولم تكتفِ حياة **سليم** القاسية بتوجيهها تلك الصّدمات المتتالية التي أدمت روحه، لتصفعهُ مرة أخرى بعد عودته إلى الجزائر، بخبر زواج حبيبته **مليكة** ومغادرتها البلاد إلى فرنسا، فيقول: «يبدو أنه كان يوماً للنّكت... حورية تخبرني أن شقيقتها، وحبيبتي، قد تزوجت وسافرت. ابتسمت لها كأحمق... معتقداً أنها تمازحني»[1]، وهذا ما زاد الطين بلّة، فملجأه الوحيد الذي عاد ليرتمي في أحضانه تركه وحيداً.

لم تسلم بطلتنا **إيفانا** من الصراعات النفسية هي الأخرى، فمن حلم مستحيل إلى هول الحرب إلى مأساة البيت إلى قسوة الغربة، كلّها أمور جعلتها تتكبد عناءً يفوق سنّها. وفي سردها عن معاناتها تقول: «قضيت، سنوات شبابي، في أكاديمية الفنون، مثّلت بعض الأدوار الصغيرة، ثم جاءت الحرب، وأحسست بصدمة بعد غلق المسرح الذي عملت فيه. تحوّل إلى ملجأ أيتام وتهاوى.. وتهاوى معه طموحي... »[2]، فبعد أن خفت حلمها بأن تصبح كاتبة وممثلة مسرحية، تداعت أحوالها وأصبحت متقلبة المزاج، قضت أشهرا تبحث عن وظيفة، «إلى أن عثرت على عمل كنادلة في مطعم فندق ذي أربعة نجوم. قلت في نفسي إنه عمل مؤقت وسأعود للمسرح، حين يتحسن حال البلاد»[3]. غير أنها بقيت في ذلك العمل عاماً والنصف عام، كل هذا الوقت وهي تعاني بسبب مديرها المتسلط حتى «فضّلت المغادرة كي لا يعاملني كخادمة أو متسوّلة في فندقه، ولأتخلص من قناع النادلة الظريفة، الذي لا يناسبني، وأُعيد التفكير في مصيري من الصّفر، انتصاراً لما تبقى لي من كرامة»[4]. لم يكن حلم **إيفانا** بالعمل كممثلة وكاتبة مسرحية مستحيل التحقيق بحكم الأوضاع السائدة فقط، بل ما كانت تعانيه داخل بيتها لم يكن يصقل شخصيتها لتقاوم الظروف وتتحداها، بل على العكس من ذلك. فقد كانت

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص273.

[2] _المصدر نفسه، ص22.

[3] _ المصدر نفسه، ص23.

[4] _المصدر نفسه، ص71.

تشعر أنها بلا أهل ولا رفيق ولا حبيب، ضائعة في بلادها وسط أهلها، فمنذ صغرها كانت تشعر بنوع من الغيرة اتجاه أختها التي حضيت بحنان أمها وعطف والدها، «وُلدت آنتشي ضعيفة البدن. وكـثيـراً ما أصـيبت برعاف... ولم يكن الإسهال يفارقها... . كانت أمي تستيقظ، في جوف الليل، تهدهدها وتحدّثها لتخفف عنها آلامها،... تغدق عليها الحنان كي تقنعها بالنوم. ولا أخفي أنني غرت منها، فقد احتوتها أمي أكثر مما احتوتني، وعطف عليها والدي، بينما أنا لم يتورّع في شتمي ووصفي بالقبيحة وعديمة الحسن»[1]. وبعد وفات والدها، ومرض أختها **آنتشي**، مارست أمها قدّاس الصمت في البيت، فتقول أن «أمّي لم تُبالِ بالقلق الذي سكنني طويلاً»[2]، فشعور **إيفانا** بنقص حنان والدتها، وانعدام اهتمام والدها بها، بالإضافة إلى مرض أختها النفسي، الذي بات يؤرّقها، كلُّ هذا ولّد لديها صراعاً نفسياً لم تتجرأ على البوح به لأحد.

لم تساعد الظروف التي عاشتها **إيفانا** في تكوين شخصية قوية ذات ثقة وقناعة بنفسها، بل على العكس من ذلك؛ فقد بدأت تغير ملامح وجهها بوضعها مستحضرات المكياج، «منذ خمسة عشر عاماً وأنا أستخدم المكياج... لكنني لست راضية عن مظهري»[3]، وهذا يشير إلا أنها كانت تهتم كثيراً بشكلها ومظهرها الخارجي، إرضاءً للنّاس. غير أنها لم تسلم من تنمر الآخرين عليها، حيث تهكم أحدهم عليها مرّة: «وجهكِ يُشبه مؤخرة دجاجة»[4]، وحتى والدها لم يتردد في نعتها بأبشع الصفات «والدي لم يخجل من نعتي بالقبيحة، و**إيليا** وصمني بالبدينة، لذلك كرهت جسدي وداومت على حميات غذائية»[5]. وكلُّ تلك الآراء السلبية حول مظهر **إيفانا**، جعلها تعاني صراعا داخليا بينها وبين نفسها لتكون مرآة

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص167.

[2] _المصدر نفسه، ص23.

[3] _ المصدر نفسه، ص89.

[4] _المصدر نفسه، ص89.

[5] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص73.

عاكسة لآراء الآخر. وقد انصب اهتمامها في محاولتها للظهور أمام حبيبها **غوران** بأفضل صورة، فصارت «أضع أحمر الشفاه مع زميلات لي في المدرسة... لجذب اهتمام غوران»[1]، فقد طمست شخصيتها على حساب رغبة **غوران**، الذي تملّكها روحاً وجسداً، فتقول: «غوران يسكنني. أشعر كما لو أنه يراقب حركاتي وأنفاسي. يحدث أن أجد نفسي أتخيّله وهو يقف بجانبي، أو يجلس معي. أمشي في الشارع وأنا أدردش معه، ولو مرّ شخص ما لا يعرفني ورآني بتلك الحالة؛ لاعتقد أنني بلا عقل أو أنني هاربة من مصحة أمراض نفسية»[2]، فحبها وهوسها به، فتح له المجال ليتملكها دون علمه. وهو دليل على شخصيتها القاصرة العاجزة عن فرض ذاتها وقناعاتها في المجتمع. فضعيف الشخصية يتأثر بما يُقال عنه، ويجعل آراء الناس واقعاً في حياته، فلا يسعه الاندماج داخل المجتمع، ولا الحفاظ على حقوقه، غير أن إرضاء النّاس غاية لا تدرك.

عاشت **إيفانا** وحدة قاتمة منذ صغرها، تخلّجتها صراعات نفسية حادّة ولم تجد معيناً لها في مواجهة الحياة الصعبة والظروف القاسية، إلاّ حين تعرّفها على **غوران**، الذي أحبته حباً عظيماً يفوق حبّها لنفسها، فقد أنتشلها من ظلماتها وأحيا أمل الحياة فيها، فتقول: «... ثم جاء غوران، وشعرت كما لو أنّ أحداً حقنني بمصل الأمل، وبتنا نقتسم عزلتنا معا»[3]، وحتى عند هجرِهِ لها و تسبُّبه في دمار نفسي لـ **إيفانا**، ظلّت تحمله معها في ذاكرتها طِوال سنوات غيابه، وكأنّ طيفه يشجّعها على الاستمرار في الحياة والتمسك بخيط الأمل الضعيف.

بعد انفصال طويل بين **إيفانا** و**غوران**، تلتقي به مجدداً في ديار الغربة، ليُشع بصيص الأمل لديها، لكنها فرحة قصيرة المدى، حين وجّه **غوران** سكيناً قاتلة للعربي الأعرج، ويهرب مجدداً تاركاً إياها وحيدة وسط مسرح جريمة لم ترتكبها. «تركني في سراييفو، وحيدة، أصارعُ

[1] _ المصدر نفسه، ص89.

[2] _المصدر نفسه، ص107.

[3] _ المصدر نفسه، ص186.

قدري، ثمّ فرّ منّي، بعد أن قتل رجلاً... أنفاسي كادت تتقطع كما لو أنني أركض. أحسست بانقباض عضلات بطني. انهرت في مكاني ولم أستطع أن أقف على رجلي، والغمامة السوداء لم تفارق عيني اليسرى، دم الضحية تمدد على الأرض... »[1] هذا ما سبب لها صدمة نفسية هي في غنى، جعلتها تهيم في صراعات نفسية لا نهاية لها، فأصبح يتملّكها الخوف في كل مكان تذهب إليه، ويراودها شعور «أن شخصاً ما ينوي طعني، انتقاماً من مقتل ذلك العربي... ولن يهدأ له بال حتى يريق دمي»[2]، وبسبب هذه الصراعات النفسية، باغتتها فكرة إنهاء حياتها البائسة ووضع حدّ لمعاناتها، من خلال «... القفز إلى نهر ليوبليانيتسا»[3]، وهذا إن كان يدلّ على شيء، إنما يدلّ على ضعف إيمانها، وعدم قدرتها على مجابهة مشاكلها وتحمّل قسوة الحياة عليها. غير أنها تعدل عن رأيها، وتحاول صقل شخصيتها لتخطي العقبات التّي خطّها القدرُ لها.

تعود **إيفانا** إلى "سراييفو"، محمّلة بشحنة إيجابية لتغير واقعها نحو الأفضل، لكنها تكتشف ما كانت تخشاه؛ أنها تحمل في أحشائها أجنّة رجل خلف القضبان، فتقول في صدمة «وقعت في المصيدة و حبلت من رجل يقبع في السجن، وقد يخرج منه سوى كهل، أو جثة»[4]، وهنا تدخل في دوامة صراعات مرة أخرى، أتبقي على حياة الطفل مقابل اعتلائها المسرح؟ أو تجهضه و تعارض قناعاتها وتحشر نفسها مع زمرة القتلة؟، فقررت الإجهاض وتابعت مسيرتها لتحقيق حلمها، وهذا دليل على أن **إيفانا** لم تبقَ الشخص الضعيف الذي عهدناه، فكلّ تلك العقبات والمشاكل ساهمت في تغييرها نحو الأفضل، لتصبح شخصاً قوياً قادراً على اتخاذ قراراتها الحاسمة بنفسها، وتضع مصلحتها فوق الجميع.

---

[1] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص209.

[2] _المصدر نفسه، 235.

[3] _ المصدر نفسه، ص117.

[4] _ المصدر نفسه، ص260-261.

لا تُحار العقول من تغير الواقع النفسي للأشخاص الذين يعيشون في ظل أزمات معينة خاصة الحروب، فلا يمكن لعاقل تجاهل الأثر الذي تتركه الحروب والنزاعات والتشريد القسري والملاحقة والاعتقال والتضييق المالي والمؤسساتي على كثير من مجتمعات العالم إلى يومنا هذا.

3.3.دلالة الصراع الأديولوجي السياسي.

بما أن الأديولوجيا هي علم الأفكار والمعتقدات المشتركة، التي تعلم على تبرير مصالح الجهات المهيمنة. ويرتبط مفهومها ارتباطاً وثيقاً بمفهوم القوة؛ فالجماعات الحاكمة تريد فرض تصوراتها وأفكارها على بقية أفراد المجتمع، فتتصارع مع الجماعات الخاضعة التي تحاول تغيير الأوضاع لصالحها. وقد برز هذا المفهوم بصورة خاصة في المواقف السياسية، فالأفكار هي أساس العمل السياسي، إذاً فالأديولوجيا السياسية هي الأفكار التي يلتزم بها رجال السياسية والمفكرون.

في رواية "حطب سراييفو"، نجدنا أمام أديولوجيات متعارضة، أدت إلى صراع سياسي حاد، فقد جمع **سعيد خطيبي** بين بلدين اشتركا في الحرب والدم هما البوسنة والهرسك والجزائر، كوجهان لعملة واحدة. حيث صارت أحداث الرواية بين عشرية الجزائر السوداء (1992-1999)، متقاطعة مع آثار الحرب الأهلية في البوسنة (1992-1995).

من المعروف أن دول البقان متعددة الأعراق والثقافات والأديولوجيات، جُمعت معظمها تحت سيطرة "يوغسلافيا"، «فأصبحت من أقوى دول منطقتها تحت قيادة الزعيم **يوسيب بروز تيتو**. وبعد وفاة هذا الرجل، علت الأصوات المطالبة بالاستقلال عن "يوغسلافيا"، وحين أراد مسلمو البوسنة التحرر، عارضهم الصرب البوسنيون، وما إن أعلنت البوسنة والهرسك

استقلالها في مارس 1992م»[1]، فتعصّب الصرب من جهة، وعُنصرية الكروات من جهة أخرى، جعلت الحرب هي الخيار الوحيد المتاح أمام الطرفين. وبعد استفتاء الشعبي كان لصالح المسلمين، اشتعلت حرب دولية مسلّحة بين بلدان متعددة الأعراق والأفكار.

وهذا ما تؤكده **إيفانا** قائلة: «... في العام الثاني من الحرب، التي يُطلق عليها حرب البلقان أو حرب يوغسلافيا أو حرب البوسنة والهرسك، وكلّها تسميات خاطئة، فقد طحنتنا حرب قطع أنسال لا أكثر»[2]، فقد كان الهدف الرئيس من ذلك الصراع المسلّح هو التطهير العرقي، من أجل إنشاء أراضي صربية نقيّة، ففشلت محاولة البوسنيين بالاستقلال فشلاً ذريعاً، فدُمّرت قُراهم وأُجبر الآلاف منهم على الخروج من منازلهم «تحمّسنا لاستقلال البلد وانفصاله عن يوغسلافيا، ولم نفكّر فيما ينتظرنا من حرب ومآتم»[3]، فقد شهدت البوسنة والهرسك أبشع حرب بعد الحرب العالمية الثانية.

ومن جهة أخرى، يروي **سليم** معاناة الشعب الجزائري جرّاء الحرب الأهلية في نفس الفترة (العشرية السوداء)؛ التي نشب فيها صراع مسلح قام بين الحكومة الجزائرية ومختلف الجماعات والإسلاموية المتمرّدة، تسبب في مقتل عشرات الآلاف من الجزائريين بطرق شنيعة. فيقول: «... سيارة مفخخة انفجرت هنا وعدد من المواطنين قُتلوا غدراً في ليلة واحدة هناك»[4]، ويُضيف: «... هجم مسلّحون على سيدي لبقع مباشرة بعد افطار سادس يوم من رمضان، محمّلين برشاشات كلاشينكوف وماط 49 وخناجر... ذبحوا البالغين، كما يُذبحُ الدّجاج، وقسموا جثث أطفال نصفين طولياً، ثم رحلوا»[5]، حيث قامت الجماعات الإسلاموية

[1] _ينظر: محمد صالح: قصة حرب البوسنة والهرسك، https://www.qssas.com، اطلع عليه في 2021/06/01، 17:54.

[2] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص38.

[3] _المصدر نفسه، ص74.

[4] _المصدر نفسه، ص12.

[5] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص13.

المسلّحة بسلسلة من مذابح أودت بالجزائر إلى أعنف صراع دموي في البلاد بعد الاستعمار الفرنسي، وهذا دليل على وحشية وهمجية الإرهاب ضد الشعب.

وبالإضافة إلى الهجومات المسلحة، كانت نواطير الأرواح تقوم بإرسال رسائل تهديد للنخبة المثقفة من الشّعب، «... يوم تلقّت رسالة تهديد من نواطير الأرواح؛ هكذا دأبنا على تسمية الجماعات المسلحة. طلبوا منها التوقّف عن التدريس، ورسموا لها أسفل الكلمات خنجراً ومسدساً»[1]، كما طاردت الصحفيين وجعلتهم يغيرون مكان إقامتهم خوفاً من موت غادر، «... أوصلته إلى محطة الحافلات، ليواصل طريقه إلى تيبازة،... فقد بات يغير عنوانه للتمويه، بعدما شعر قبل أشهر، أن غريباً تبِعهُ من مقرّ الجريدة إلى شقته، ... صار يقضي لياليه في أمكنة مختلفة، متنقلاً من بيت إلى آخر، ويوصيني أن أغيّر، دائماً، طريقي من العمل إلى شقتي، كي لا أُلفت انتباه أحد، ولا أقع ضحية في يد الجزّارين»[2]، فكثيرٌ من الصحفيين انتقلوا للإقامة في مكان آمن لأنهم كانوا أكثر استهدافاً من طرف الجماعات الإرهابية بل وأكثر من عناصر الأمن. وقبل الحرب، اعتاد الصحافيين على كتابة ونشر مقالات حول الفنّ والثقافة، وبعد اشتعال فتيل الصراع، وجدوا أنفسهم يهيمون في السياسة ما جعلهم يخفون أسمائهم الحقيقة تحت أخرى مستعارة كما حصل مع بطلنا **سليم** وصديقه **فتحي** «كتبنا في الجريدة، في الشأن الثقافي، عن إصدارات أدبية، عن السينما والمسرح،... لكن مع توالي موجات العنف وارتداداتها،... وجدنا أنفسنا متورطين في الشأن السياسي، نكتب عن الفضائع وعن الأرواح التي تسقط كل يوم، هو يوقعُ مقالاته باسم مستعار: عمر ديدي، وأنا أوقع باسم: عمار بن ابراهيم»[3]، وهو ما يدلّ على أن النخبة المثقفين يشكلون خطراً على تلك الجماعات المسلّحة، لأن الفئة المثقفة تستطيع التحكم بالرأي العام للشعب، ومنه تغيير

[1] _ المصدر نفسه، ص17.

[2] _المصدر نفسه، ص36.

[3] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص35.

الأوضاع لكفّة الجيش، يقول **فتحي**: «حين ينتهي السّاسة والعساكر والقوّادون، سيطلقون على المؤسسات والمراكز الثقافية أسماء دراويش أو بهائم، لكن أبداً لن يطلقوا عليها اسم مثقّفين أو كتّاب»[1] .فاغتيال الصحفيين والمثقفين وتشويه صورتهم يعني إسكات صوت الحقيقة طمس الواقع وتعرية همجية الجماعات الارهابية.

وبالعودة إلى **إيفانا** نجدها تصوّر مشاهد مروّعة عمّا حدث في البوسنة من جرائم في حقّ الانسان، فمن أديولوجيا تفرض نفسها إلى صراع سياسي شرس، وصلت قوات الصّرب إلى أبذل وأحقر ما يمكن للإنسان أن يقترفهُ في حق أخيه الإنسان، فقد شهد واحد من النّاجين من حرب البوسنة والهرسك أن «ميليشيات هناك كانت تضع قلادات من أصابع الأطفال بينما لم يجد آخرون من أشياء تسليهم أكثر من مباريات في كرة القدم تلعب برؤوس القتلى»[2]، ففي الحادي عشر من يوليو 1995 استولت وحدات من صرب البوسنة على منطقة سيربرينيتسا في البوسنة والهرسك شرعت في مذبحة لم تتوقف لمدّة عشرة أيام، في أبشع جريمة قتل أوروبية على التراب الأوروبي تحت اسم عملية التطهير العرقي، التي استهدفت المسلمين بشكل خاص فلقيَ أكثر من ثمانية آلاف شخص من مسلمي البوشناق حتفهم، فأُعدموا ودُفنوا جماعة، ومنهم من دُفن حياً، وأُجبر آباء على مشاهدة أبناءهم وهو يُقتلون. أمّا النساء والفتيات، فقد اغتصبت أمام الملأ»[3]، وهذا إن كان يدلّ على شيء إنما يدلّ على كمية الحقد الدّفين والتعصب يُكنّه الصرب والكروات ضد المسلمين، ف «الحقد صناعة بوسنية. لسنا إخوة سوى في الحقد، عدا ذلك فإن كل شيء يفرق بيننا»[4]، وهذا الحقد يظهر من خلال استهداف قوات العدو المكوّن

[1] _ المصدر نفسه، ص98.

[2] _ المصدر نفسه، ص222.

[3] _ينظر: مراد بوريشة: بالصور: 25 عاما على مذبحة سيربرينتسا، https://www.bbc.com، اطلع عليه في 2021/06/01، 22:49.

[4] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص237.

الرئيسي لهوية المسلمين وهو الإسلام. وهو صراع أديولوجي سياسي فكّك وحدة المسلمين إلى أقليات متفرقة وممزقة خاضعة للسياسة الجديدة.

لم تكُن الجزائر في منأى عن تلك الصراعات السياسية التي ولدت من رحمها جرائم يعجز الإنسان عن نسيانها، كما حدث مع **حليمة** التي شهدت مقتل أختها أمام عينها، حين اقتحم منزلهم أربعة شباب ملثّمين مخلّفين خراباً في البيت، وهي تحكي بصدمة «... أمسك أختي من ذراعيها. سحبها بقوة، وقادها إلى الغرفة المجاورة. كانت ترتجف وتصرخ، تنعق، تبكي، تترجاهما ألا يؤذياه. ...كل شيء حصل بشكل خاطف ظهر الملثّمان الاثنان الآخران، ...و أخبرانا أن ذلك جزاء من لا تلبس خمارا. حين انصرفوا وجدنا أختي، ممددة على جانبها الأيمن غارقة في دمائها... حمَلَتْ رأس أختي المقطوعة ووضعتها على جسدها، كما لو أنها تريد أن تنفخ فيها روحا جديدة»[1]، وهذا ما يشير إلى سياسة الإرهاب اللاإنسانية التي مورست تحت مسمّى الدّين.

رغم الاعتقاد السائد بأن الحروب التي تنشب حول العالم، هي مسألة سياسية بحتة، لكنها فكرية أديولوجية أيضاً. فكانت الصراعات الأيديولوجية متكأً أساسياً بدائياً في الحروب، بحيث اضطرت الشعوب إلى اللجوء إلى تراثها ومخزونها الأيديولوجي الأقوى للدفاع عن نفسها، في حرب الخرائط المتغيّرة وحدود الدم والسيولة الجغرافية والبشرية التي ما زلنا نعيش فصولها.

3.4. دلالة الصراع الديني:

[1] _ المصدر نفسه، ص157-158.

يلعبُ العامل الديني إلى جانب العوامل الأخرى دوراً كبيراً في إثارة الصراع في كل الحضارات التي شهدها العالم، فالصراع الديني هو «القائم بين مجموعات تتبع ديانات مختلفة أو من نفس الدين، كما يعني الاستعباد والاستغلال، "فالظلم والفقر والجهل والاحتلال يمثل منطلقاً خصباً للبحث عن عقيدة صراعية تحقق القدر الأكبر من التناقض مع الخصوم»[1]، ومنهُ فالعقيدة تمنحُ الصراع أحقيتهُ لتجاوز عالم الأسباب إلى عالم القداسة.

تتخذ رواية "حطب سراييفو" لـ **سعيد خطيبي** الصراع الديني كخلفية رئيسية لأحداث الرواية، حيث عانى الشعب الجزائري منذ الاستقلال من مخلّفات الاستعمار الفرنسي، جُهّل وظُلم وطُمِست هويته واستُفزّ دينه، فقد ركزت فرنسا على تحطيم أهم ركائز الهوية لدى الجزائري ألا وهي الدين الإسلامي. وعند خروجها خلّفت فئة من الجزائريين الذي تأثروا بسياسة فرنسا التدميرية، فأهملوا دينهم و أصبحوا مسلمين قولاً فقط. نجد شخصية **سي احمد** الجزائري المسلم الذي هاجر إلى "ليوبليانا" بحثاً عن العمل، ولم يُدرك أنه لم يترك وطنهُ فقط، بل ودينهُ أيضاً. فقد تزوج من المسيحية **نادا**، مقلّداً المجتمع الآخر في جميع سلوكاتهم؛ تناول الخمر وعاشر النساء. ف **سي احمد** تنكر لذاته الأصلية ونسي تعاليم دينه، وكذلك الأمر مع ابن أخيه **سليم** الذي اعتنق هو الآخر أفكاراً لا تتناسب والإسلام، فنجدهُ يقول« قد أجد امرأة على قدر من الجمال والثقافة وأتزوجها، ولا يهم إن كانت مسلمة أو غير مسلمة، والدي لن يعارض خياري»[2] ، وهو يجسّد شخصية الجزائري ضعيف الإيمان الذي ينقاد بسهولة وراء شهوته، ومنه فمشروع فرنسا لسلخ الجزائري المسلم عن تعاليم دينه مازال قائماً إلى يومنا هذا.

أما أحداث الرواية فقد صيغت في ظلّ الصراعات الأهلية في الجزائر، حيث نشأ صراع على السلطة قام بين النظام الجزائري وفصائل متعددة تتبنى أفكارًا موالية للجبهة الإسلامية

[1] _ إبراهيم خطيب: هل نحن أمام صراع ديني، ص36-37.
[2] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص51.

للإنقاذ والإسلام السياسي، أين اتخذت هذه الجماعات من الإسلام نظاماً سياسياً من خلال تسييس الشريعة الإسلامية، فأصبح يُطلق عليهم "الإسلامويون".

بينما كانت الجزائر تحت صراع ديني بين طوائف من نفس الدين، كانت البوسنة تشهد صراعات عقائدية بين مختلف الأديان من إسلام و كاثوليك وأرثوذكس. «يُنظر إلى المسلمين في هذه البقعة من زوايا مختلفة، ويُعرّفون كمسلمون ولكنهم مختلفون عن أقرانهم من مصر وتركيا لأنهم أوروبيون، ومع ذلك يحاولون جعل الإسلام طقسا طبيعيا في بلادهم، فرغم أوروبيتهم، فإنهم مسلمون أصليون، وذلك يتناقض إلى حد ما مع النظرة الشائعة للإسلام بأنه دين غير أوروبي أو معادٍ لتقاليد أوروبا المسيحية[1]» ، وبالتالي فإننا لا نلاحظ في نهاية المشهد، إلا أن مسلمي البوسنة علقوا كغيرهم من مسلمي المنطقة في شِباك الجدل التقليدي عما إذا كان الإسلام جزءًا أصيلًا من الهوية البلقانية أم أنه عنصر أجنبي جاء متطفلًا ومشتتًا انتماءاتهم بين الدين والعرق.

وهو ما جاء على لسان بطلة الرواية **إيفانا** « ما معنى أن يكون الواحد منا بوسنيا؟ يعني أن يكون مزيجاً بلا نقاوة عرق، نهراً تصبُّ فيه وديان، لا بحيرة معزولة. جيراننا في الحي من أصول صربية أو كرواتية أو مسلمة، وبعضٌ منهم من زيجات مختلطة، في زمن مضى، اشتركنا جميعاً في اسم واحد: يوغسلافيون وكفى. ولدنا إخوة، ثم قسمونا إلى حفنة أسماء، إلى طوائف وجماعات» [2]، قد ساهم هذا المزيج في إطالة وتعقيد مرحلة نضال البوسنة نحو الاستقلال. تقول **إيفانا:** « أنا وأزرا درسنا ولعبنا، في طفولتنا، معاً. كانوا يسخرون منها، في السّر، ويقولون أنها "بالْيا"، أي مسلمة وليست بوسنية مكتملة [3]»، وهذا ما يدلّ على

[1] _ينظر: نور علوان: مسلمو سراييفو... الدين كفعل مقاومة وهوية، https://noonpost.com، اطلع عليه في 2021/06/06، 18:20.

[2] _سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص75.

[3] _ سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ص76.

الحقد الدفين من قبل الصرب تُجاه مسلمي البوسنة، فحرب البوسنة هي حرب دين وعقيدة بالمقام الأول، كما صرّح **فيليبور أوسكويتش** وزير الإعلام في حكومة الصرب«إنّ الصرب هم حملة لواء الحروب الصليبية الجديدة لإنقاذ أوروبا من الإسلام، وأن بلادهُ تحاربُ مؤامرة إسلامية للسيطرة على العالم»، ووصف الوزير الصربي الحرب الدائرة في البوسنة والهرسك بأنها "حرب دينية"[1].

كان الصراع الـعقائدي والديني الذي واجه مسلمي البوسنة خلال حرب البوسنة والهرسك، من أصعب ما يكون. وتشير الخلفية التاريخية للبوسنة والهرسك أن البلاد، ظلت غير متجانسة عرقيًا أو دينيًا، فهي بالأساس ليست كاثوليكية ولا أرثوذكسية ولا مسلمة، وإنما كاثوليكية ومسلمة وأرثوذكسية في الآن ذاته، وأي محاولة تسعى لتغيير هذا الواقع سينتهي بتكرار حرب البوسنة، وهي الحادثة التي تركت إرثًا فكريًا ونفسيًا ثقيلًا بين شعوب البلاد، لا سيما بين من يظنون أنفسهم أكبر ضحايا الماضي ومن ينكرون معاناة الآخرين. وكذلك الصراع الطائفي في الجزائر(1992-1999م)، بين الإسلامويون الذين اتخذوا دين الإسلام كدرع سياسي لحماية ونشر أفكارهم المتطرفة سعياً وراء السلطة، وبين الحكومة الجزائرية.

إذاً فالصراعات الدينية هي بداية حروب مدمرة تسببت في مقتل ملايين، فكل الحروب الدينية التي اشتعلت في العالم لم تحل المشكلة بل زادتها تعقيدا، وكلها يُستخدم فيها الدين من أجل مصالح سياسية لفئة على حساب الأغلبية، وخير مثال حروب أوروبية.

[1] _ينظر: عمار اسماعيل: مسلمو البوسنة وتاريخ من المعاناة، https://www.tipyan.com، اطلع عليه في 2021/06/06، 18:48.

خاتمة

الخاتمة

في نهاية بحثنا خلُصنا إلى جملة من النقاط، وهي كالتالي:

- إنّ رواية "حطب سراييفو" للروائي **سعيد خطيبي**، تمثل عينة راقية من روايات الأزمة في الجزائر، حيث تشبّعت بمختلف الثقافات، حيث صوّرت واقع الأزمة التسعينية، وذلك من خلال عقد مقارنة ضمنية بينها وبين الحرب الأهلية في سراييفو.
- لقد جاءت بداية التسعينيات في الجزائر متزامنة إيذانا لبدء حرب جديدة كشفت عن التوجهات الأيديولوجية السائدة التي نتج عنها صراع حاد في مستوى الأفكار بين فئات مختلفة، فأظهرت ذلك الصراع القائم بين السلطة والجماعات الإسلاموية من جهة وبين المثقف وهذين الاتجاهين من جهة أخرى، ومحاولة كل منهما (السلطة والجماعات الإسلاموية) إلغاء الأخرى ورفضها وإقصائها.
- تعتبر حرب البوسنة من أشدّ الحروب فتكاً في التاريخ، نشأت في ظلّها صراعات مختلفة جرّاء الحرب الأهلية، من صراع نفسي وديني عقائدي وسياسي أديولوجي وكذلك اجتماعي، هذه الصراعات خلّفت آثاراً وجراحا لم تندمل إلى يومنا هذا.
- صوّرت الرواية جوانب مختلفة من آثار الحروب الأهلية في الجزائر وكذا في البوسنة والهرسك، وانعكاساتها على الشخصيات، وآثارها النفسية، ونتائجها على نفسية الفرد. إذ أنّ الصراع النفسي الداخلي ينزع الحياة، ويزرع اليأس، ويجعل من كل مواطن مشروع جثة ، وإن انتهت هذه الحروب ظاهرياً، ستبقى تحفر عميقًا، وتمرض النفوس، وتورث الويلات.
- الحرب الأهلية في الجزائر خلفت آثراً لن يمحى من ذاكرة الجزائريين وكذلك من ذاكرة المنطقة العربية عامة، فضحايا الحرب وصل عددهم لقرب الربع مليون مواطن، لذلك مع تطورات الوضع السياسي في الجزائر، من المهم أن نلقي نظرة على ماضي البلد

وتطورات وضعها السياسي قديماً، حتى نقرأ بشكل منطقي المستقبل ونحاول أن نحتاط من تكرار السيناريوهات الأليمة لأعوام الدم السوداء.

- إنّ الإرهاب في عشرية الجزائر السوداء، إرهاب ديني بامتياز. حيث لم تكف كل الوقائع الإرهابية عن قتل المدنيين بالمجان؛ لتحقيق أهداف سياسية، وهذا ما أدى إلى التعصب الأعمى للمذهب أو الدين، وإلى عدم الالتزام الصحيح والكامل بدين الإسلام على مستوى المشاعر والأفكار والسلوكيات، لأن ديننا الحنيف يقوم على العدل والمساواة والتوازن والاعتدال، ولا يقوم على التطرف والتعصب للباطل.
- برز الصراع الاجتماعي بشكل واضح في الرواية، من خلال صراع الشخصيات مع واقعها البائس الذي فرض نفسه تزامناً مع الحروب القائمة آنذاك. هذا الصراع مسّ جميع فئات المجتمع خاصة المرأة، فقد تعرضت هذه الأخيرة لشتى أنواع العنف والاستغلال والاستبداد داخل المجتمع من طرف الجنس الآخر.
- من خلال هذه الرّواية يبدو كأنّ ما حصل في الجزائر وسراييفو وجهان لحرب واحدة، باعدت بينهما الجغرافيا غير أنّ الحرب وفظائعها جعلتهما توأم بعضيهما زمنيًا في المعاناة والقدر غير المحسوب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

أولا: المصادر:

- سعيد خطيبي: حطب سراييفو، ط2، منشورات ضفاف ومنشورات الاختلاف، لبنان/الجزائر 2019م.

ثانيا: المراجع:

1) الكتب العربية:

- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط2، علم الكتب، القاهرة، مصر 1998م.
- أحمد مندور: ملامح أدبية (دراسات في الرواية الجزائرية)، د ط، الساحل بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر 2008م.
- أحمد وهبان: الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، ط3، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، د ت.
- أديب الخالدي: المرجع في الصحة النفسية (نظرية جديدة)، د ط، دار وائل 2009م.
- أديب الخالدي: المرجع في الصحة النفسية، د ط، الدار العربية، غريان، ليبيا 2002م.
- الأصفهاني الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، مر: وائل أحمد عبد الرحمن، د ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة 2003م.
- بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ط1، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس 2005م.
- عباس محمود عوض وآخرون: علم النفس الاجتماعي في نظرياته وتطبيقاته، د ط، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1994م.

- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.
- عبد الله العروي: مفهوم الأديولوجيا، د ط، المركز الثقافي العربي، المغرب 2012م.
- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، د ط، عالم المعرفة، الكويت 1998م.
- عثمان عمر بن عامر: مفاهيم أساسية في علم الاجتماع والعلم الاجتماعي، ط1، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ليبيا 2002م.
- فاخر عاقل: علم النفس، ط9، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1979م.
- محمد برادة: محمد مندور وتنظير النقد العربي، د ط، منشورات دار الآداب، بيروت 1979م.
- محمد عبد الكريم الحوراني: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ط1، مجدلاوي، عمان، الأردن 2008م.
- محمود تيمور: دراسات في القصة والمسرح، د ط، المطبعة النموذجية، القاهرة، مصر، د ت.
- منقور عبد الجليل: علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي، د ط، اتحاد الكتب العرب، دمشق، سوريا 2001م.

2) المعاجم والقواميس:

- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مج4، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان 1997م.
- محمد بن أبي بكر، عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، د ط، مكتبة لبنان، بيروت 1982م.

- ابراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، د ط، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس 1988م.
- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د ط، مكتبة لبنان، بيروت 1982م.
- فرج عبد القادر طه: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، د ت.

3) الكتب المترجم:

- أندو هيود: مدخل إلى الأديولوجيات السياسية، ط1، تر: محمد صفار، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر 2012م.
- جورج لوكاتش: نظرية الرواية وتطورها، د ط، تر: نزيه الشرقي، 1988م.

4) المجلات والمقالات:

- ابراهيم خطيب: هل نحن أمام صراع ديني، مجلة دنيا الوطن، ع5، د ت.
- الأزهر ضيف وجميلة زيدان: نقد نظرية الصراع واسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع20 ديسمبر، جامعة الوادين، الجزائر 2016م.
- دالع وهبة: التحول من الصراع الأديولوجي إلى الصراع الحضاري (الخلفيات والأبعاد)، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، م5، ع1، 2020م.
- سامية ربيعي: في مفهوم النزاعات الدينية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، ع6، د ت.
- صالح مفقودة: نشأة الرواية العربية في الجزائر (التأسيس والتأصيل)، مجلة مخبر، ع2، 2005م.

- ليلى محمد العارف: الاضطرابات السيكوسوماتية وآليات الدفاع النفسي والعصابية وعلاقتها بالصراع النفسي، مجلة مركز جيل للبحث العربي، ع3، ليبيا 2014م.

5) الرسائل ومذكرات التخرج:

- أليفة الهدية: الصراع السياسي في رواية "الفراس الجميل" لعلي أحمد باكاثير على أساس نظرية موريس دوفيرجير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة مولانا مالك ابراهيم الإسلامية الحكومية، مالانج، أندونسيا 2020م.
- أميرة نهاية منير عزيزة: الصراع الاجتماعي في رواية "الأجنحة المنكسرة" لجبران خليل جبران، دراسة أدبية اجتماعية في نظرية جورج زيميل، جامعة مولانا مالك ابراهيم الإسلامية الحكومية، مالانج، أندونيسيا 2018م.
- إيدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، ط1، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2000م.
- محمود صافي محمود محمد: إدارة الصراعات الداخلية خلال مرحلة التحول الديمقراطي (رؤية نظرية)، كلية السياسة والاقتصاد، جامعة السويس، مصر 2020م.
- منير محمد بدوي: مفهوم الصراع (دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع)، مجلة دراسات مستقبلية، ع3، جامعة أسيوط، مصر 1997م.

سابعا: الكتب الإلكترونية:

- ابراهيم علي ربابعة: إدارة الصراع والنزاع (كتاب إلكتروني)، شبكة الألوكة، https://www.alukah.com.

6) البنود والاتفاقيات:

- ياكين إيرتورك: تعزيز وحماية جميع حقوق الإنسان، المدنية، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما في ذلك الحق في التنمية، مجلس حقوق الإنسان، الدورة السابعة، البند 3 من جدول الأعمال، الجمعية العامة للأمم المتحدة 2008م.

7) المواقع الإلكترونية العربية:

- أمير بوريتش: كرواتيا... عنف ممنهج ضد اللاجئين، https://www.dw.com
- سميرة إيراتني: البوسعادي الذي عاش في سلوفينيا وتحصل على كتارا، https://www.sila-dz.com
- عاصم علي: أكثر الحروب الأهلية التي شهدتها البشرية دموية... ستبقى وصمة خزي في التاريخ، https://www.dakhlak.com
- عامر حافي: الأديان بين الصراع الوئام،https://www.taadudiya.com
- عبد الله قرباع: الصراع الدولي the concept of international conflict، الموسوعة السياسية،https://www.political-encylopedia.org
- عبد المالك خلف التميمي: صراع الأديولوجيات في العالم العربي،https://www.albayan.ae
- غادة الحلايقة: مفهوم الصراع الاجتماعي، https://www.mawdo3.com
- مكرم محمد أحمد: التمييز العنصري يتصاعد في أوروبا، https://www.albayan.ae
- ميغا موهان: العنف ضد المرأة: منظمة الصحة العالمية تقول إن ثلث نساء العالم يعانين،https://www.bbc.com
- جازية سليماني: إحياء ذكرى الصحافيين ضحايا "العشرية السوداء"، https://www.alanaby.co.uk

- محمد صالح: قصة حرب البوسنة والهرسك، https://www.qssqs.com.
- مراد بوريشة: بالصور: 25عاما على مذبحة سيربرينتسا، https://www.bbc.com

8) المراجع الأجنبية:

- Magdi wahba: a dictionary of literary terms, English-french-arabic, lebanon, beirut, w e, 1994.
- Victoria Bull : Oxford dictionary, oxford university press, China, 4th edition, 2008.

9) المواقع الإلكترونية الأجنبية:

- Antion louis Claud : Destutt de tracy's elements of ideology, https://www.britanica.com.
- Encylopédie Agora, fondée par jucques dufresne et Hélène Leberge, https://www.agora.qe.ca/mot.nsf/dossier/ideology.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول: مفاهيم نظرية	
1. مفهوم الدلالة	11
2. ماهية الصراع	12
1.2. المفهوم اللغوي	13
2.2. المفهوم الاصطلاحي	14
1.2.2. الصراع في الأدب	15
2.2.2. الصراع في علم النفس	17
3.2.2. الصراع في علم الاجتماع	18
3.2. أنواع الصراع	20
1.3.2. الصراع النفسي	20
2.3.2. الصراع الديني	23
3.3.2. الصراع الأديولوجي	25
4.3.2. الصراع الاجتماعي	29
3. مفهوم الرواية	32
1.3. تعريف الرواية	32
2.3. نشأة الرواية الجزائرية	34

الفصل الثاني: دلالات الصراع في رواية حطب سراييفو لسعيد خطيبي	
1. الروائي سعيد خطيبي	39
1.1. نبذة عن الروائي سعيد خطيبي	39
2.1. النتاج الأدبي	40
3.1. نتاجات أخرى	40
4.1. الجوائز المتحصل عليها	40
2. ملخص الرواية	40
3. دلالات الصراع في رواية حطب سراييفو	43
1.3. دلالة الصراع الاجتماعي	43
2.3. دلالة الصراع النفسي	52
3.3. دلالة الصراع الأديولوجي السياسي	60
4.3. دلالة الصراع الديني	65
الخاتمة	70
قائمة المصادر والمراجع	72
فهرس المحتويات	79

ملخص الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على البحث في دلالات الصراع بمختلف أنواعه في رواية "حطب سراييفو" للروائي **سعيد خطيبي**، فهي رواية الأزمة التي عاشتها "الجزائر" في فترة التسعينيات من القرن الماضي بسبب الحرب الأهلية، بينما كانت سراييفو تخرج بتشوهاتها وآلامها من حرب تدميرية شرسة وحصار قاس طويل حوّلها إلى سجن مفتوح. وهي رواية الناجين من الحروب والصراعات العرقية والدينية وغيرها، نتج عن كلا الحربين خسائر أدمت بالمجتمع الجزائري وكذا البوسني، وخلّفت قلقاً وخوفاً وآثاراً نفسية ومختلف أنواع العنف، جعلت الأفراد الذين عايشوا تلك الحقبة يذوقون مرارة الحروب ومآسيها.

من خلال هذه الرواية يبدو أنّ "الجزائر" و"سراييفو" وجهان لحرب واحدة، باعدت بينهما الجغرافيا، غير أنهما نهران متوازيان من الهزائم؛ منبعهما الألم، ومصبهما الشتات.

الكلمات المفتاحية: رواية الأزمة، الصراع، الحرب الأهلية، سراييفو، الجزائر.

Abstract:

This study is based on researching the implications of the various types of conflict in the novel "The Firewood of Sarajevo" by the novelist **Said Khatibi**, it is the novel of the crisis that "Algeria" experienced in the nineties of the last century because of the civil war, while "Sarajevo" was emerging with its distortions and pains from a fierce destructive war and a long harsh siege, that turned it into an open prison. It is the novel of survivors of wars and ethnic, religious and other conflicts Both countries suffered heavy losses that ravaged Algerian society as well as Bosnia, and caused anxiety, fear, psychological effects and various kinds violence made individuals who lived through that era taste the bitterness and tragedies of wars.

Through this novel, it seems that "Algeria" and "Sarajevo" are two sides of the same war, separated by geography. Yet they are two parallel rivers of defeats; Their source is pain, and their destination is the diaspora.

Keywords: novel crisis, conflict, civil war, Sarajevo, Algeria.